AAFET LIB.

JAF LIB.

892.72
Sh53ma

مصرع كليوباترا

892.78
Sh5985maA
c.1

تأليف

المرحوم أحمد شوقي بك

مطبعة دار الكتب المصرية
١٩٤٦

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهـــداء

إلى صاحب السموّ الملكي الأمـير « فاروق »
وليّ عهـد المملكة المصـرية (*)

فاروقُ يا أزكى نبات الوادي
ولمحـةَ الآبـاء والأحـداد
ويا مناط العهد من «فؤاد»
الى اليـد المأمـولة الأيادي
أرفع ما قد وَسِع اجتهادي
وَردَ الرّبا وزَنْبقَ الوِهاد
حـوادث قديمـة الميـلاد
فِضْن عن الملـوك والقُوّاد
وصِرنَ وحيَ شاعر وشادي
وفتنةَ البَراع والمِـداد
يَعطفَن كلّ طيّب الفـؤاد
تَهُـزّه فجيعـــة الأمجـاد

(*) أهديت إلى جلالته قبل ارتقاء جلالته عرش المملكة المصرية .

وروعة المَقـادر العـوادي
وما خَلَوْن من شعاع هادي
يُبـيّن الغيّ من الرشاد
ومن قصيدٍ مِلْء كل نادي
عَفّ البيوت نزهِ الأوتاد
تُسيغه مسامع الزّهّـاد
وقصص مُستَحدَث في الضاد
يُؤلّفُ التمثيـل بالإنشاد
في وطن على الفنون غادي
مَسرَحُه كان بلا عِماد
والدُّك المُعانُ بالسّداد
أقام رُكنيْه فكان البادي
وإن تقبّلتَ وذا اعتقادي
جزَيتَ إخلاصي واحتشادي
لجيلك الناهض بالبلاد

شوقي

تمهيد

١ – زمن الرواية : الأيام الأخيرة في حياة كليوباترا حوالى سنة ٣٠ قبل الميلاد بين وقعة «أكتيوم» البحرية وانتحار كليوباترا .

٢ – مكانها : في الاسكندرية وأرباضها .

٣ – أشخاصها :

(ا) الأشخاص التاريخية :

كليوباترا .

مارك أنطونيوس .

أكتافيوس قيصر .

قيصرون : ابن كليوباترا من يوليوس قيصر .

(ب) الأشخاص الموضوعة :

أنوبيس : الكاهن الأكبر .

زينون : أمين مكتبة قصر كليوباترا .

حابي ...
ديون ... } مساعدو زينون .
ليسياس

هيـلانة : وصيفة كليوباترا وبينها وبين حابي غرام

شرميون : وصيفة أخرى .

أوروس : روماني في معية أنطونيوس وهو عبده وتابعه وصفيه .

أولمبوس : طبيب روماني في بلاط كليوباترا .

أنشـــو : مضحك الملكة .

غانمـيز : ساقيهـا

حـــبرا : عرافهـا

أيـــاس : شاديهـا

أحيـــل : قائد الأسطول المصري وربان أنطونياد سفينة كليوباترا .

بـــولا : شاعر

أغا القصر

(ج) النكرات المسرحيـــة : جنود وقوّاد مصريون ورومانيون . راقصات . عزاف .

الفصل الأول

المنظر الأول

«في مكتبة قصر كليوباترا – حابي وديون وليسياس جلوس إلى»
«عملهم . يسمع جماعة من العامة خارج القصر ينشدون هذا النشيد»

يومنا في أكتيوما ذكره في الأرض سار
إسألوا أسطولَ روما هل أذقناه الدمار!

***

أحرز الأسطول نصرا هزّ أعطافَ الديار
شرفاً أسطولَ مصرا حزت غاياتَ الفخار

***

صارت الإسكندريهْ هي في البحر المنار
ولها تاج البريهْ ولها عرش البحار

***

حابي: إسمع الشعبَ (دُيونْ) كيف يوحون إليه
ملأ الجوّ هتافاً بحياتي قاتليهْ
أثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه
يا له من ببغا عقله في أذنيه

ديون:

حابي، سمعتُ كما سمعتَ وراعني أن الرميّة تحتفي بالرامي

هتفوا بمن شرب الطلا في تاجهم وأصار عرشهم فراشَ غرام
ومشى على تاريخهم مستهزئاً ولو استطاع مشى على الأهرام

حابي :

أتذكر يا ديون إذ انطلقنا إلى الميناء نلتمس الهواء
وكان البحر كالميت المسجّى وكان الليل للميت الرداء

ديون :

نعم وهناك آنسنا سحابا وراء الليل جللت السماء
فقلت انظر ديون تر الجواري يطأن الماء همساً والفضاء
وأقبلت البوارج بعد حين سوائب لا دليل ولا حداء
رجعن رجوع قرصان أصابوا من الغزو الهزيمة والبلاء
فلم نسمع لملاح هتافاً يبشر بالقدوم ولا نداء
ولم نر فوق سارية سراجا ولا من ثقب نافذة ضياء

حابي : فماذا قلت ؟

ديون :

قلت ديون إني أرى الأسطول بالويلات جاء
دخول الظافرين يكون صبحاً ولا تزجى مواكبهم مساء
فلما أصبح الصبح انتبهنا نرى الأسطول أزين ما تراءى
تبرّجت البوارج بعد عطل وهزّت في ذوائبها اللواء

وردّدَ في المدينـــة أن روما عفا اسطولُهـــا ومضى هَبَاء
فضجّ الناس بالبُشْرَى وكدّوا حناجرَهم هُتافاً أو دُعـــاء
هداك اللهُ من شَعب بريء يصَرّفه المُضلّلُ كيف شاء

ليبياس [هامساً لحابي] : [تدخل هيلانة]

حابي : صهٍ قد ظهرتْ هيلانهْ وأقبلت بالطلعة الفتّانـــهْ
تَنفَحُ كالزّنبقة الغَيْسانهْ

حابي : ليبياسُ، أنهاكَ عن المجانهْ هيلانةُ في القصر قهرمانهْ
لها وقارٌ ولها مكانهْ

هيلانة : سلامٌ لك يـــا حـابي
سلامٌ لـــك هيلانـــهْ

هيلانة : أُمِرْتُ أن أقول للأمين ستحضُر الملكةُ بعد حين
فبلّغِ الأمرَ إلى زينون

حابي : سيدتي سأفعلُ أمرَكما ممتثلُ
هيلانة : تَقرنني بربّتي ! ذلك ما لا أقبَل
حابي : هيلان ، أنتِ مَلكتي وأنتِ وحدَكِ المَلَكْ
هيلانة : بل كيلبترا وحدَها لم يَحْوِ شمسيْن الفَلَكْ
إن أنت لم تُؤمِنْ بها فلستَ لي ولستُ لك

[تخرج هيلانة ويدخل زينون من باب آخر في هيئة تفكير واضطراب]

حابي : ذاتُ الجلالة سيدي قد آذَنَتْنا بالزيارهْ

زينون : هذه حجرتُها لا عدِمَتْ طِيبَ رياها ولا ضوءُ حلاها
كلّ يوم تتجلى ساعةً هاهنا كالشمس في عزضحاها
تدخُلُ الدارَ فتنسى مُلكها بلقاء الكُتْبِ أو تنسى هواها

[محدثا نفسه في ركن قصي من اركان المكتبة] :

أما الشبابُ فقد بَعُد ذهب الشباب فلم يَعُدْ
ويجي أمِن بعد السنيـ ـنَ وقد مرَرْن بلا عـدد
أو بعـد طولِ تجـاربي ومكانِ علمي في البلد
تَجْني الحسانُ عليّ ما لم تَجْنِ قبلُ على أحد ؟

ديون [هامساً إلى زميليه] :

حاب ، ليسياس ، أقسمُ أن زينونَ مغرَمُ
فضح الشيخَ حبّـه والهوى ليس يُكتم

ليسياس: بِمَنِ الشيخُ مولَعٌ ليت شعري متيّم ؟

ديون ، وبمن جُنّ يا تُرى ؟

حابي [ضاحكا] : كلّ خاف سيُعلم

زينون [مستمراً في حديث نفسه] :

مالي جنيتُ فصرتُ أتّهم الشبابَ وأضطهدْ
لم ألقَ رأساً فاحماً إلا حملتُ له الحسد
ووجدتُ لاعجَ غيرةٍ بين الجوانح يتّقد
فكأنّ ظلمةَ شعره في مُقلتيّ هي الرّمد
وكأنما سرقتْ ذوا ئبُهُ شبابي المفتقد
ولو ان لي ولداً فما ت لما بكيتُ على الولد
حذَراً وخوفاً أن يكو نَ بها تعلّق أو وجد
شكٌّ يعذّب مهجتي إن المشكّك في كبد

[يلتفت إلى حابي ويطيل اليه النظر ثم يناديه] :

حابي ، بني

[يأتي اليه حابي]

قل ولا تُخفِ عليّ هل تُحبْ ؟

حابي : أحبّ ! من قال ؟

زينون : سمعتُ

حابي : من روى لك الكذب ؟

زينون : بُنيّ ، ليسَ بالفتى إذا أحبّ من عَجب
مَن لم يُحبّ لم يُؤدّ للشباب ما وجب

حابي [متهكما] :

لكن أأدّعي الهـوى وليس لي منـهُ سببْ ؟

زينون : حابي ، بُنيّ لا تَرُعْ مِنَ السؤال بل أجِب
لولا الهوى لم تَكُ في ظل الشباب تكتئب
ما بال بِشْرِك امّحى ولونك الغضّ شُحب ؟
وللدموع من مآ قيك تكادُ تنسكب ؟

حابي [ساخراً] :

أفقْ زينونُ واصحُ من الغواني أبعد الشيب تخدُعك النساء؟

زينون [غاضباً] :

أتعلم يا غلامُ عليّ عشقاً ؟

حابي : دع الإنكار قد بوح الخفاء

زينون : ومن أنباك ؟

حابي : أنت !

زينون : وكيف ؟

حابي : تَهْذِي فتفضحك الوساوسُ والهُذاء
كمحموم يبوح وليس يَدري تكشّفَ عن سرائره الغطاء

أبعد العطف والإشفاق يشقى بصحبتك الشباب الأبرياء ؟
فكلّ فتى رأيت زعمت صبّاً يخامره من الرّقطاء داء ؟
وما كعمى الشيوخ إذا أحبّوا وليس وراءه غيرتهم بلاء

زينون [لنفسه]:

إلهي قد فضحت وضلّ شيبي وضاعت حكمتي وخبا الذكاء

[لحابي]:

صدقت بُنيّ بي داءٌ دخيلٌ وليس إلى الدواء لِيَ اهتداء
عليّ تلوّن الأفعى، فهل لي من الأفعى ونكزتها نجاء ؟
أرى ولها وأحسبه جنوناً كسانيه على الكِبَرِ القضاء

حابي : وتُعطى حين تلقاها ابتساما وأنطنيوس يُعطى ما يشاء
صباحُها مغازلةٌ وصيدٌ وللأقداح والقُبَل المساء
أترْضى أن يكون سريرُ مصرٍ قوائمُه الدعارةُ والبغاء ؟
أتهدِمُ أمةً لتَشيدَ فرداً على أنقاضها ؟ بئس البناء !
أبي ، شيخي ، اجترأتُ عليكَ فاصفحْ
فلم أكُ أجترى لولا الوفاء

إلهي قد فضحت وضل شيبي وضاعت حكمتي وخبا الذكاء

(صفحة ١٣)

لقد آن التكاشف والتواصي ... بما توحي الكرامةُ والإباء
تعالَ إلى جماعتنا ، فإنّا ... جنود الحق يجمعنا لواء
شباب نحن يُعوزُنا شيوخ ... بهم في المدلهمّة يُستضاء

زينون: كفى، إني نفضتُ يديّ منها ... ومُزّقَ عن بصيرتيَ الغِشاء

حابي: أبي زينونُ قد بُحتُ ... من السر بمكنوني
وما غيرُك زينون ... على السر بأمون

[يشير إلى ديون وليسياس] :

أخي ، هذا أثيبيّ ... وخلّي ذاك مَقدوني
كلا الخلّين للحق ... كما أدعوه يدعوني
كلا الخلّين ذو جدّ ... بأرضِ النيل مدفون
فليسا في هوى مصرٍ ... وفي طاعتها دوني
فدينا الوطنَ الغالـ ... ـيَ بالجنس وبالدين
ولم نصبر على حكم ... لرومية ملعون
ولسنا حزبَ أكتافٍ ... ولسنا حزب أنطون
ولا نخضعُ للبأس ... ولا نُخدع باللين
ولم يَبقَ على الودّ ... لروما غير زينون

الكون الملك

زينون: معاذ الله ، عُدّوني من العصبة عُدّوني
كساك اللهُ يا روما لباسَ الذلّ والهُون
حابي: أبي أنت الطبيبُ وكل داء له في صَيدليّتك الدواء
فهيّ لها ابنَ ساعته وعجّل يُعَجّل في السماء لك الجزاء
لعل سمومك الزعف المواضي من الأفعى وفتنتها شفاء

[يدخل جندي عن حرس الملكة يعلن قدومها]

الحارس: الملكة !

زينون [كأنما يفيق من حلم]:

الملكة ! لا بَرِحَتْ مُلكه !
ودام مجدُ المملكه !

[تدخل كليوباترا ومن ورائها ابنها قيصرون بين وصيفتيها شرميون وهيلانة ومن ورائهن أنشو مضحك الملكة وأغا القصر]

الملكة: تحيّتي لأمناء المكتبه وشيخهم أعلى الشيوخ مرتبه
زينون: سلام السّموات في مجدها على رَبّة التاج ذات الجلال
تمنيت رأسين لا واحداً إذا مَسّت الأرض هام الرجال
أطأطئ رأساً لمجد النبوغ وأخفض رأساً لمجد الجمال

حابي . ديون . لسياس [يتلفت بعضهم إلى بعض أسفا] :
أنشو [للوصيفتين وقيصرون] :

أما يُغنيهِ عن رأسيـ ـه من رأسٍ فيه وجهان ؟
فحيناً هـو مصريّ وحيناً هـو يُوناني
وفي مجلسِ يوليوسَ وأنطونيوس رُوماني
وإن لاقى أغا القصر فنـوبيّ وسوداني

[يدخل الكاهن أنوبيس من باب مقابل]

الملكة : كاهنَ المُلْكِ سلامٌ لا عَدِمنا بركاتِكْ
صلِّ من أجلي ولا تنـ ـس صغاري في صلاتك
أنوبيس : رَبّةَ النيل التحيا تُ الزكيّاتُ لذاتك
حَرستْ تاجَكِ إيزيـ ـسُ ومَدّتْ في حياتك
الملكة : هُوَ ذا ابني قيصرونُ يتـلقّى نفحاتك
الكاهن [لنفسه] :
إيزيس كيف أصلي على ابن يوليوس قيصر؟
أبوه عالٍ ولكن فرعونُ أعلى وأكبر

[يسمع هتاف من خارج القصر وجماعة ترتل نشيد النصر السالف في اكتيوم]

الملكة [عابسة] :

كاهنَ المُلك، سادتي، هل سمعتم رنّةَ الصوتِ في جوانب قصري؟

أنوبيس: هم رعايا مليكتي

الملكة: ليت شعري

أخير تجمعوا أم لشر ؟

شرميون:

الجماهيرُ يا مليكةُ بالشـ ـطِّ يموجون في حُبورٍ وبِشْرِ
سَرَّهم ما لقيت في أكتيوم من ظهور على العدوّ ونصر
لا يقولون أو يُعيدون إلا نبأ بات في المدينة يسري

الملكة:

يا لإفْك الرجال! ماذا أذاعوا كذبٌ مارَوَوْا صراحٌ لعمري
أيّ نصر لقيتُ حتى أقاموا ألسن الناس في مديحي وشكري
ظَفر في فم الأمانيّ حلو ليت منه لنا قلامةَ ظفـــر
وغداً يعلمُ الحقيقة قومي ليس شيءٌ على الشعوب بسر

شرميون:

ربة التاج ذلك الصنع صنعي أنا وحدي وذلك المكر مكري
كثرتْ أمس في الاياب الأقاويـ ـلُ وظَن الظنونَ من ليس يدري
فأذعتُ الذي أذعتُ عن النصـ ـر وأسمعتُ كل كوخ وقصر
خِفتُ في خاطري عليك الجماهيـ ـرَ وأشفقتُ من عِدًى لك كُثْر
فاغفري جرأتي، فيارُبَّ ذنبٍ يَنعب العذرُ فيه مَهّدْتِ عذري

الملكة :

شرميون ، اهدئي فما أنت إلا ... ملكة صيغ من حنان وبر
أنت لي خادمة ولكن كأنا ... في المُلمّات أهل قربى وصهر
إنما الخادم الوفي من الأه ... ل وأدنى في حال عسر ويسر
إسمعي الآن كيف كان بلائي ... وانظري كيف في الشدائد صبري
أيها السادة اسمعوا خبر الحر ... ب وأمر القتال فيها وأمري
واقتحامي العباب والبحر يطغى ... والجواري به على الدم تجري
بين أنطونيو وأكتاف يوم ... عبقري يسير في كل عصر
أخذت فيه كل ذات شراع ... أهبة الحرب واستعدت لشر
لا ترى في المجال غير سبوح ... مقبل مدبر مكر مفر
وترى الفلك في مطاردة الفلـ ... ـك كنسر أراد شراً بنسر
وتخال الدخان في جنبات الـ ... ـجو جنحاً من ظلمة الليل يسري
ودوي الرياح في كل لج ... هزج الرعد أو صياح الهزبر
وترى الماء ، منه عود سرير ... لغريق ، ومنه أحناء قبر
يغسل الجرح ثم من غسل الجر ... ح ويأسو من الحياة ويبري
كنت في مركبي وبين جنودي ... أزن الحرب والأمور بفكري
قلت روما تصدعت فترا شط ... راً من القوم في عداوة شطر

بَطَلاها تقاسما الفُلكَ والجيـ ... ـشَ وشبّا الوغى ببحر وبر
وإذا فرّقَ الرّعاةَ اختلافٌ ... علّموا هاربَ الذئاب التّجري
فتأملتُ حالتيَّ مَليّا ... وتدبرتُ أمرَ صحوي وسكري
وتبيّنتُ أن روما إذا زا ... لت عن البحر لم يَسُدْ فيه غيري
كنت في عاصف، سللتُ شراعي ... منه فانسلّت البوارجُ إثري
خلَصت من رَحى القتال وتمّا ... يلحق السّفنُ من دمار وأسْر
فنسيتُ الهوى ونُصرة أنطو ... يوسَ حتى غدرته شرّ غدر
علمَ الله قد خذلتُ حبيبي ... وأبا صبيتي وعَوني وذُخري
والذي ضيّع العروشَ وضحّى ... في سبيلي بألف قُطر وقطر
موقفٌ يُعجب العلا كنتُ فيه ... بنتَ مصرو كنتُ مَلكةَ مصر

[ملتفتة إلى زينون] :

زينونُ، فصّلت الخبر ... عن القتال والسفرْ
وقلتُ عن إيابي ... وخُطة انسحابي
ما ليس يعلمُ البلدْ ... ولا درى به أحدْ
فهل لديك الآنا ... ما يَجلِبُ السّلوانا
من الأمالي المُسْلِيهْ ... والصّحُف المُلْهيهْ

زينون: عنـــديَ يا مولاتي روائـعُ الآيات
تِسْعون ألف سِفْرٍ قـد كُتبتْ بالتبر
من كل رَقٍّ عجبِ في العلم أو في الأدبِ
قيصرُ أنطونيو وهب لنـا مناجمَ الذهبْ
وكلّ غال مدّخرْ من الجواهر الأخرْ
أسـلابه من حربه وطعنـــهِ وضربه
هـديةٌ من قيصر لبَـلدة الإسكندر

أنشو: إذا كانت الكتبُ في شرعكم نظيرَ الجواهر كفء النضار
فإني الغنيّ بدُرّ الفـــواة ع حين يُرصَّعُ تِبر العُقار
وما الكتبُ قوتي ولا منزلي فمـا أنا سـوسٌ ولا أنا فار

الملكة: حكيمٌ لعمري على جهله ظريف الحديث لطيف الحوار

زينون [مغيظاً]:

ولكنها حكمةُ السائمات وفلسفةٌ غيرُ بنت اختبار
وكلتاهما لا تَعَدّى الشعورَ بحُبّ البقاء وخوف الدمار

أنشو: رويدك مولاي بعض السباب فليس السِّبابُ سبيل الكبار

هَبِ الليل طال فقطعته بِدرس وأصبحت تُفني النهار
وأقبلت بالكتب تطوى الطوال وتَنشرُ في إثرهنّ القِصار
وزِدْت على الأرض علم السماء كبارَ كواكبها والصغار
إذا ما نفَقتَ ومات الحمارُ أبينك فرقٌ وبين الحمار ؟

زينون [غاضباً] :

ماذا تقول السيدة ؟

الملكة [ضاحكة] :

واحدةٌ بواحدة
أبي أنوبيسُ أرجو

انوبيس : بل تأمُرينَ مُطاعهْ

الملكة [مشيرة إلى باب محراب مفتوح ومتجهة إليه] :

هذا مُقامُ صلاتي وهيكلي للضراعهْ
ولي خطايا كثيرةٌ لا تبرَحُ البالَ ساعه
فادخلْ وصلِّ لأجلي فمنك تُرجَى الشّفاعه

[يدخلان المحراب ويتبعهم الحاضرون ما عدا حاني وديون وليسياس]

ديون [متهكما] :

إسكندرية صرت رفرف معبد من كل ناحية عليه ستار

اختَصَّ آلهةُ الجلال بِسرِّه ... وتفرَّدَ الكُهان والأحبار
ما خَطْبُهم حابي، وماذا بَيّتوا ... ما هـذه الألغاز والأسرار ؟

ليسياس:

حابي:

أرأيتَ وقعةَ اكتيوم وماجرى ... فيها وكيف تصرّفَ المِقدار !
ليسياس، إنك قد سمعت حديثها ... كالسحر في الآذان حين يُدار
تبدو الخيانةُ فيه وهي أمانةٌ ... ويُرى الثباتُ عليه وهو فرار
وعلمتَ كيف نجحت وكيف انقض عن ... أنطونيو أسطولُها الغدّار

ليسياس:

والبوم حابي، أين أنطونيو وما ... فعلت بفلّ جيوشه الأقدار ؟
قل لي : أحيٌّ في البلاد مشرّدٌ ... هو أم له قبرٌ بمصرَ يُزار ؟

حابي :

ليسياس، تسألني تجاهلَ عارف

ليسياس:

بل جاهلٍ لم تأتهِ الأخبار

حابي :

لم تأت حتى جاء في آثارها ... للحبِّ أجنحةٌ بهن يُطار
ويقال بل أخذته تحت شراعها ... ونجا به فُلْكٌ لها مِحصار
تجري الرياحُ بما تشاءُ قلوعُه ... ويسيرُ في طاعاته التيار

ويُقالُ غضبانٌ عليها عاتبٌ ... ويُقالُ بل حَنِقُ الفؤادِ مُثارُ
وعلى صفاء العاشقيْنِ سحابة ... وعلى سلامِ الصاحبيْنِ غُبارُ
آلى وأقسم لا يُرى في قصرها ... حتى يُقوّمَ مجدُه المنْهارُ
إن البلاء أجلّ من ألا يُرى ... عجبٌ أتخفى في الهشيم النارُ ؟

ديون :

حابي :

أنطونيو منا بأقرب تُكنةٍ ... يدعو من الرومان من يختار
وبُعيدَ أهبتَه ليوم حاسم ... في البر يُغسلُ عنه فيه العار
ويكون ميدان الرحى ومدارها ... تلك التلالُ وهذه الأسوار
فهناك خاتمةُ الصّراع وموقف ... إما الدّمارُ بهِ وإما الغار

[يسمع صوت أنوبيس من داخل المحراب مرتلا هذا النشيد] :

إيزيسُ ذاتَ الحجاب ... مالكةَ العالمينْ
شعبُك لاقى العذاب ... من عَبث الظالمينْ

***

يا من خفضنا الجباه ... لعزّها ساجدينْ
صُغنا إليك الصلاهْ ... من أدمعِ النادمينْ

[ستار]

المنظر الثاني

« في إحدى غرف القصر الملكي ورحى الحرب دائرة بين اكتافيوس وأنطونيوس على أسوار الاسكندرية – حابي في الغرفة حيث تدخل عليه هيلانة »

هيلانة: أتدخلُ حابي مَقاصيرَها ؟ ... بلغتَ من الجرأةِ المنتهى
ستعلمُ أمرَكَ ذاتُ الجلال ... ة
حابي : ... بل أمرتُ أن تراني هنا
هيلانة: عجبتُ لها ولتدبيرها ... كذلك قد أمرَتني أنا
إذن هي تجمعنا يا جَحودُ ... وتجزيكَ عن سَخَطٍ بالرضى
حابي : هيلانةُ خَلِّيك من ذكرِها ... حديثُ الأفاعي طويلُ المدى
هيلانة: رُوَيدَكَ حابي لقد أحسنَتْ ... فمالي أراكَ أسأتَ الجزا ؟
حابي : هيلانةُ ، يا طيبَها خَلْوَةً ... وإن قلَّ في ظلها المُلتقى
تَعالي هيلانةُ نَعطِ الغرامَ ... عِنانَ الحديث ونَشكُ الجوى
أبلي يدي يدَيْكِ اللتيْن ... نعيمي بينهما والشقا
هَلُمَّ هيلانةُ

هيلانة : حابي أراكَ ... بِكُنهِ الأمور قليلَ الهُدى
من القصر لا تلتمسْ خَلوةً ... وإن هو من كلِّ حسٍّ خلا

سماء القصور لها أذْنان وأرضُ القصور بعينٍ ترى

حابي : هلانةُ لا تقطعي نَشْوَتي بقُربكِ أو حُلمي بالمُنى
أمهما تخيّلتُ صَفوَ الحياة خلقتِ على جانبيهِ القَذَى؟

هيلانة: حنانَكَ حابيّ لا تتهمْ ولا تَرمِني بعقوق الهوى
وُلذْ بالأناة فإن الأناةَ صَديقُ الصوابِ عدوّ الخطا
فلو كنتُ وحدكَ شغلَ الفؤاد لهان البلاء وقلّ العَنا
ولكنْ حقوقُ كلوباطرةٍ

حابي : وأي حُقوقٍ لها تُدّعى

[تدخل كليوباترا]

كليوباترا: حقوقُ الولايةِ ياذا الغلام حقوق الرّعاية ياذا الفتى
وصَبري عليكَ لأجل الفتاة

حابي [مأخوذاً] : إلهي لقد سمعت ما جرى

الملكة: وسدّي المسامعَ حبّاً بها وأنت تُعينُ عليّ العدا
وترسل في العرش هجرَ الكلام وتُغشي الحفيظةَ لي والقلى
ولكنْ لنفسَ الذي قد مضى فمثلكَ تاب ومثلي عَفا

دع الذّودعن مِصرَ لي إنني ... أنا السيفُ والآخرون العصا
ولا تُطعِم الفِتْيَةَ العابثين ... أسودَ الكلام نَعامَ الوَغى

[إلى أنوبيس] [يدخل أنوبيس]

أبي : قد أتيت

أنوبيس: سلامٌ عليكِ ... شُعاعَ المدائن نورَ القرى
الملكة: أبي قد تَلاقى هنا العاشقان ... وكان بتدبيريَ الملتقى
فباركْ فتاتي وباركْ فتاكَ ... وكفكفْ هواه إذا ما غلا
أنوبيس: حياتك حابي كنيسيّةٌ ... يشاكلُ اوّلُها المنتهى
مقيّدةٌ باليقين القَنوعِ ... وما أمرَ القلبُ أو ما نهى
الملكة: كزَهرِ المقاصيرِ لم ينتفعْ ... بطولِ الأديمِ وعرضِ الثرى
أنوبيس: وتحسب في الكتب علم الحياة ... وما منه في الكتب الأَسْدَا
حابي : لعلّي كذي الشك في حرصهِ ... يقيس الطريق ويُحصي الخُطا
أرى راكب الشك ملء المجال ... طويل العنان بعيد المدى
ولو شككت في السراج الفراش ... لكان سلاماً عليها السّنا
أنوبيس: ولكن تمُرّ على ما تراه ... تُجاوزُه نحو ما لا يُرى
وهذا الملاكُ

[مشيراً إلى هيلانة]

كمولاته طليق الإرادة حرّ الحجى
تمشّى على جَنَبات الحياة كما يتمشى شُعاع الضّحى
يخوض الوحولَ ويغشى الحلى ويأوى الحضيض ويعلو الذرا
ويخترقُ العَرَصات الفساحَ وينفذ من ضَيقات الكُوى
ويرتعُ بين أنوف الأسودِ ويلعب بين عيون الظبا

الملكة: ولكنه طاهرٌ حيث طاف نقيّ الذّيول عفيف الخُطا
أبي قد نسينا حديث القتال فمنذ الصباح تدور الرحى
وجيش الحليف وجيش العدو بظهر المدينة رهنُ الوغى
هنالك يُقضى مصيرُ البلاد فإما البقاءُ وإما الفنـــا
ومن عجب كاد يمضي النهارُ وما من رسولٍ وما من نبا

[يدخل جندي من جنود أنطونيو منهوكا يعلوه الغبار]

الجندي: سيدتي جئتُك بالأخبار لقد جرت بسعدك الجواري
انتصرت جنودنا الضواري تحت لواء البطل المغوار

قيصرُ أنطونيو على آثاري

الملكة: يا فرحًا ما أعظمَ البشاره! حلت على أكتافيو الخساره
«واكتيوم» قد أخذنا ثاره خُذْ يا رسولُ هذه البُشاره

[تمنحه بدرة من الذهب فيخرج من باب وتدخل شرميون من باب]

شرميون : سيدتي يا طربا ! سيدتي يا فرحا !
دارتْ على أكتافيو وجيش أكتافيو الرّحى

هيلانة : مَلْكتي هل تسمعين

[يسمع صوت بوق وهتاف من بعيد]

الملكة [منصتة] : صوت بوق وهتاف

[تقوم الملكة إلى النافذة وترهف أذنيها وعينيها] :

هو والله نشيدي والمغنّون جنودي
والمخاريقُ التي تخ فقُ من بُعْدٍ بنُودي
ولديْها فارسٌ مُلـ تئم شاكي الحديد
يَتراءى في عِنان الـ جوّ كالبُرج المشيد
هو أنطنيوسُ ذُخري وطَريفي وتَليدي

[إلى شرميون وهيلانة] :

أيها البنتان هذي ليلةُ العيدِ السعيدِ
صَلّيا مثلَ صَلاتي واسجُدوا مثلَ سُجودي

[يسجد الثلاثة لحظة . ثم تنهض الملكة أولا وتتجه نحو النافذة] :

هو ذا أنطونيو من جانب الميناء أقبَلْ
هيكلٌ يحمله من صافناتِ الخيل هيكل

الـــرّداءُ الأرجُـــوانيّ على عِطفيْه مُسبل
مَبسمٌ يضحكُ من تحـ ـت جبين يتهـلّل
هـــو ذا يدنو

شرميون : أتى واللهِ

هيلانة : مـــولاتي ترجّـــل

الملكة [تبتدر الباب] :

أيها البنتان هـــذي ليـــلةُ العيدِ السعيد

أنوبيس (هامسا لحابي) :

حابي، احيط القصر بالذئاب وبي من السخط عليهم مابي

الملكة :

سيدتي تأذن في انسحابي؟ وتأذنين مَلكتي لحابي

الملكة [ضاحكة] :

إلى الأفاعي ؟

أنوبيس : لا إلى المحراب

الملكة : رَأيكما في المكث والذهاب

[يخرجان ويدخل أنطونيو وحاشيته وقواده وتابعه أوروس . أنطونيو يقبل على الملكة مادا يده]

أنطونيو : إلهَتي !

الملكة : قيصري !

أنطونيو : سلطانتي !

الملكة : مَلكي

أنطونيو : عندي لك اليوم يادنياي أخبارٌ

الملكة : عَجّلْ فديتُكَ

أنطونيو : لا ، لا بدّ من ثمنٍ

الملكة : كرائمُ المال ؟

أنطونيو : ما للمال مقدارُ

[يمد إليها جيبه في ضراعة] :

ردّي على هامتي الغار الذي سلبت ... فقبلةٌ منك تعلوها هي الغارُ

[تقبله]

كليوباترا :

اليومَ تعلم رُوما أن خَرّتها ... تُقلدُ الغارَ مَن تهوى وتختار

واليومَ تعلمُ روما أن فارسَها ... جيشٌ بمفرَدِه في الرّوع جَرّار

أنطونيوسيدي، هل نحن في حلم؟ ... أسالم أنت ؟ لا أمرٌ ولا عار ؟

أنطونيو :

أمرٌ؟ وَهمتِ كليوباترا، أتَظفرين ... أيدي الكُماةِ وفي كفيّ أظفار

لو قلت قتلٌ لكان القولُ أشبهَ بي ... كأس المنايا على الأبطال دوّار
الحربُ تعلمُ والأيامُ تشهدُ لي ... أني شديدٌ على الأقران جبّار
لو كنت شاهدتني والحرب جارفة ... والصفّ تحتي بعد الصفّ ينهار
قد جُنّ تحتي جوادي فهو عاصفة ... وجُن تَصْلي بكفي فهو إعصار
رأيتِ حملة صدقٍ غير كاذبة ... لا السّيلُ يَحملها يوماً ولا النار
لما صَدمتُ جناحيْهم وقلبهمُ ... عن الخيام ومن أوكارهم طاروا
وما وَجدتُ لأكتافي وقادته ... ريحاً ، ولم أتبيّنْ أيةً ساروا
ومالت الشمس أو كادت فراجعني ... شوقٌ إليك قديم الداء سوّار
حتى رجعت ولو أني طَردتُهمُ ... لبات أكتاف عندي وانقضى الثار

كليوباترا :

تركتهم لغدٍ ! هذي مجازفةٌ ... غدٌ غيوبٌ وأسرار وأقدار

[مخاطبة أوروس] :

أوروسُ ، أنت بفنّ ال ... قتال أعلمُ مني
الحربُ فنّك أورو ... سُ والسياسةُ فني
إن كان « مَرْكُ » إلها ... فأنت في الحرب جِني
فكُنْ بحقّك عَوني ... وقلْ لقيصرَ عني

ردّي على هامتي الغار الذي سلبت فقبلة منك تعلوها هي الغار

(صفحة ٣١)

إن المنى لم تُقصّرْ بل قَصّر المتمني
فلو صَبَرتم قليلا ومرتمُ في تأني
أرحتُمونى وروما من الخصام المُعنّي

أوروس : سيدتي لم تقصدي لما عذلتِ سيدي
عَجّلتِ في الحكم على ما لم تَرَيْ وتَشهدي
لقد حَملنا حملة كمثلها لم يُعهَد
استنفذتْ بأسَ القنا وقوّةَ المهنّد
فكان لا بد لنا نُرجي القتالَ للغد

أنطونيو : كليوباترا دعينا من تجنّبكِ كليوباترا
أتبكين على الصبر وقوم حُرموا الصبرا؟
وبي من صبرك الواهي جِراحُ الأمس لم تَبرا
لقد مَنّيتُ أسطولي لدى أسطولكِ النصرا
حليف كنت أرجوأن سأشتدّ به أزرا
فعبّا تحت أعلامِ لكِ حتى زَحما البحرا
وقد كانا الجناحيْن وقد كنتُ أتا النسرا
وأجرى الفلك أكتافيو فأجريتُ كما أجرى
صَففْناها وأرسلْنا بها تَقتحِمُ الجمرا

كِلانا مارسَ الحربَ ... وعانى الكرَّ والفرّا
فلمـا آذنتنا الحر ... بُ بالمعركة الكبرى
تسللتِ بأسـطولـ ... ـك من غمرتها الحرّى
فقلتُ انسحبتُ ضعفاً ... وقال الناس بل غدرا
ولـو كان لهـم قلب ... كقلبي التمسوا العذرا

كليوباترا : أنطونيوسُ مَلكي ... أنطنيوسُ سيّدي
ليس العُبوسُ سُنّةً ... لوجهك الطلْق النّدي
ولستَ من يغضبُ في ... ليل الشّراب والدّد
ولستَ للكأس على ... شاربها بالمُفسِد
قلبُك كنزُ الحب والـ ... ـرحمـة والتـودّد
وكم حَقَدتَ ثم أصـ ... ـبحتَ كأن لم تحقد
ألستَ بالأمسِ وأمـ ... ـسِ لفتـة لم تبعُد
وهَبتَ لي جريرتي ... والصفحُ نصفُ السّؤدد
فاطوِ معي حوادثَ الـ ... ـأمس ولا تُجدّد
وامضِ معي في لذّةِ الـ ... ـيوم ودَعْ همّ الغد

أنطونيو : كليوباترا بحبّيك ... من التأنيب خلّينا
لقد سُقتُ وقوّادي ... إليك النصر فاجزينا

مُري بالكاس والطاس وبالنّدمان يَسقينا
وبالقَصف وبالعزف وبالمغنين المغنينا
وما طُيّب ألواناً وما طاب رياحينا
وقولي الشعر عُلْويا كما كنتِ تقولينا
وأوحيه إلى شادٍ لك يُلقيه فيُشجينا
غداً نستأنف الحربَ ونَطويها ميادينا

انتو : ونَغشاها نخامير ونلقاها مجانينا

كليوباترا : مُرْ بما شئتَ قيصرُ وأشرْ كيف تأمرُ
لك قصري وما حوى القصرُ كلّ مُسخّر
ليس شيءٌ وإن غلا عن حبيبٍ يُؤخّر
لتكونَنّ ليلةً آخر الدهر تُذكر
لا تُبالي إذا صَفتْ بعدها ما يُكدّر
تحلمُ الحلمَ لستَ تدري بماذا يُفسّر

[لوصفها ووصيفاتها] :

البدار البدار ياوصفاتي ووصيفاتي البدار البدارا
قيصر قيصر هو الآمر النا هي على القصر فليكن ما أشارا
هو يبغي وليمة فاصنعوها وانسقوها كما اشتهى واختارا

أطلِعوا هذه الشموعَ شُموساً ... تَذَرُ الليلَ بالعَشِيِّ نهارا
وأعِدّوا الخوانَ قد خُمِّل الأا ... وان سَتّى وجُلِّلَ الأزهارا
واجمعوا بالمُدام شمْلَ التدامى ... وأديروا الكؤوسَ والأوتارا
واجعلوها وليمة وبِساطاً ... يتبارى خلاعةً ووَقارا
مصرُ إن أولمتْ سَمتْ بالأغاني ... درجات وأسمت الأشعارا
لا تَسيروا على ولائم روما ... سَرَفاً في الفُسوق واستهتارا
كلما أولمتْ أساءتْ إلى العقـ ... ـل وجرّتْ على الحضارة عارا
ولقد تجعلُ النِّسارَ نَداما ... ها وأسْدَ العَرينةِ السَّمّارا

قائد روماني [لزميله غاضباً] :

أتسمعُ ما تقول عدوّ روما ؟ ... قد اجترأتْ على روما البَغِي
أتحت لوائها وبجانبيهـــا ... يخوضُ الحربَ من روما كميّ ؟

الآخر :

غداً تَلقى وإن غداً قريبٌ ... عقاباً في البلاد له دَوِيّ

الأول [لأنطونيوس في عتب وغضب] :

أميريَ أنطونيو أفي الحق أننا ... نبيتُ سُكارى والعدو مُبيّتُ ؟

[ينظر اليه أنطونيو نظرة طويلة ثم ينصرف عنه إلى كليوباترا فيهمس القائد] :

ألا إنه ليلٌ له ما وراءَه ... غرامُك حيٌّ فيه والمجدُ ميّت

« ستار »

الفصل الثاني

« في حجرة الولائم بالقصر الملكي ، حيث ترى كليوباترا ووصيفتاها هيلانة »
« وشرميون، وأنطنيوس ، وأوروس ، وبضعة من القواد الرومان ،وأولمبوس»
« طيب الملكة ،وأنشو مضحكها ، وغانميز ساقيها ،وحاجب يعلن اسماء القادمين »

انطونيو : قياماً نَشرب الخمرا على حُبّ كليوباترا
كليوباترا: على حُبك أنطونيو على الجيشِ على مصرا
قائد روماني:على روما
كليوباترا : دعوا روما ولا تُجروا لها ذِكرا
فما أنطونيو منها وإن كان ابنَها البِكرا
ولكنْ تحتَ أعلامي يَقودُ البرّ والبحرا
القائد : أحقٌ ماركُ أنطونيو سِ من رومِيَّةٍ نَبرا؟

[تنظر اليه كليوباترا فيقرأ في عينيها ما تريد]

انطونيو : أجلْ أتبعُ مولاتي ولا أعصِي لها أمرا
كليوباترا : على حُبكَ انطونيو
انطونيو : ثلاثاً أربعاً عَشْراً
أنشو : وإن شئتَ فعشرينَ إلى ما فوقها سُكْرا
وإن شئت من الدنيا وَصلْنا السُكْرَ للأخرى

قائد روماني [لزملائه هما] :

دَعوا أنطونيـو إني أرى السُّكرَ به آزرى
لقد كان الفتى الفَطِنَ فصار الحَدَثَ الغِرّا

قائد آخر [هما] :

سَنلبثُ ساعةً نحتالُ حتى إذا سلتْ عُقولهم انسللنا
فما المُستدلّه السُّكيرُ أهلا لِتنصره السيوف إذا استللنا

الحاجب :

أياسُ المُغنيّ وجوقة العُزّافِ
وراقصاتُ القصرِ

[يدخلون]

كليوباترا : أهلا بوفدِ الآلهةْ أهلِ الفنونِ النابهةْ

الحاجب : الشيخُ زينُون

ربّان أنطونيّاد [يدخلان]

انطونيو : ماذا عن الأسطول منـ لكَ يا أخيلُ تعلمُ ؟
هـل خَمَدتْ فتنتُه أو لم تزَلْ تَضرّمُ ؟

أخيل : مَولايَ إن البحرَ يُخ في سرّه ويكتُمُ

وما نـواه في غد مثلُ غـدٍ مُستَبهم
فـلا أقـولُ مُقدِمٌ ولا أقولُ مُحجم
ولا أقولُ يَنبري للحرب أو يَستسلم

كليوباترا : أخيلُ دَعْنا من غدٍ إن غـداً توهّم
أخيلُ ، ماالعيشُ سوى ساعةِ صفوٍ تُغنم
فلا تَكنْ كداخل على النَدامى يلطم
أتيتَهم مُناديماً لم تَأتِهم ليندموا
اليومَ مُثربٌ

زينون : وغـداً حـربٌ

غانميز : كلامٌ مُحكم !

الحاجب : بُـولا الشاعر حَبرا الساحرُ

كليوباترا [ضاحكة] :

حَبرا ، أعندكَ سِحرٌ يَشلّ طاغوتَ روما ؟
ويَجعلُ الناسَ فيهـا حجارةً ورُسوما ؟

[القواد الرومانيون يدمدمون]

أنطونيو : سيدتي لاتجرحي فؤادي ولاتنالي بالأذى اجنادي
وقلّلي السخط على بلادي

كليوباترا : أنطونيو ما أنت روماني ألم تقل إنك لي جندي ؟
أنطونيو : بلى ، وددت أنني مصري وأنني تابعك الوفي
* ما في سوى رضاك لي مضي *

أنشو : تلك والله قضيه أصبح الراعي رعيه
حكم الحب على قيـ صر والحب بليه
صار كالشعب وساوى هـمج الإسكندريه !
أنطونيو : حبرا ، تكلم ألا عجيبه ؟ من سحر منف أو سحر طيبه
حبرا : إله الحرب سامحني فإني غلبت على أباستي الغضاب
هم لا يجلسون على غناء ولا يتحدثون على شراب!
كليوباترا : ولكن قيصر يدعوك حبرا وقيصر لا يرد بلا جواب
وأنت الكاهن العراف فانظر أغير السحر شيء في الجراب
حبرا : إذا ما شئت مولاتي فإني اطالع في الكهوف وفي الكتاب
كليوباترا : أدن من قيصر حبرا وانظر الكفين واقرا
انطونيو : تعال حبرا وقلب يدي يمنى ليسرى
لعل أسرار كفي كواشف لك سرا

[يتقدم حبرا وينعم في كف انطونيوس]

ألا ترى لي بقاء؟ ألا ترى لي عمرا؟

(صفحة ٤٣)

ألا تَرى لي بقـــاء ؟ ألا تَرى لي عُمـــرا ؟

حـــبرا : يا عَجَبَ الفـال ! مولا ي أعجبُ الناس أمرا

حياتـــهُ بيـديْـــه والناسُ يَجبَوْن قَسْرا

إن شئتَ عشتَ نهارا أو شئتَ عُمّرتَ دهرا

[قائد روماني إلى زملائه هما] :

لو كنتُ منه قريباً لقلتُ في أذْن حـبرا

حياتُـــه في يديْـــه أم في يَديْ كليوباترا !

كليوباترا : تعالَ الآنَ سَل كفي وبيّن ما الذي تُخفي

[يتقدم حبرا إليها ويمسك يدها بعناية وشغف]

حـــبرا : يا لك كفاً كنقيّ العاجِ ناعمةٍ كخَمَل الدّيباجِ

لامِسها من الجحيم ناجي !

[ضحك]

تفدى الأكفّ كلها بيمينا بيضاءَ حمراءَ ترفّ لينا

كما أظلّ الشفقُ النسرينا

أنطونيو [ضاحكا] :

سمعت حبرا ملكتي كيف ابتكر كلف أن يَصنع سِحرا فشعَر

يولا الشاعر : السحرُ والشعرُ سواءٌ في الأثرْ

كليوباترا : لقد أعجبكَ الشعرُ وراقتْكَ معانيهِ
وما سرّكَ انطونيو سُروري كله فيه
فما تأمرُ في حبرا بأيّ البر أجزيه ؟

حبرا [لأنطونيو] :

جائزتي يا سيّدي تقبيل هذه اليدِ !

انطونيو [ضاحكا] :

قبّلْ ولا تَرَدّد

[يقبل يديها بين إقدام وإحجام]

حبرا : عَجبٌ عيني لا تَقـ وى على هذا الضياء
هذه كفّ إلهٍ جاء في زيّ النساء

كليوباترا: خَلني مِن زُخرُف المد ح ومِن زورِ الثناء
ما وراءَ اليد يا ع رّ افُ من غيْب القضاء ؟
أحضيضٌ يومي الآ خِرُ – قل لي – أم سماء؟
خاتمُ الأيام أولى باهتمام العظماء

حبرا : مَلكتي يومُكِ في الأيام منشور اللواء
نابه الصبح كيوم الـ شمس عُلوِيّ المساء

خطر العز عليه ومشى فيه الإباء
ثم يتلوه بقاء لم يطاوله بقاء

أنشو [لزينون] :

رأيت الشعر قد أجدى فماذا قلت يا فار ؟

زينون : إلهتي ومولاكي كفتي المهرج عني
قد نال مني ولولا ناديك ما نال مني

أنشو : سيدتي عبدك أنشو قد صدق
الفار في مكتبة القصر نطق
يقول إن أسرق فزينون سرق !
همتي في الجلد وهمه الورق
يسطو على آثار كل من سبق !

أنطونيو: إني أرى أنشو وأمثاله زادوا على زينون في الجرأة
يا ويح للشيخ على فضله أصبح في مجلسهم هزأة

أنشو : هبوه في الدرس بحراً هبوه في العلم أمة
لا يخلق العلم نفساً ولا يثبته همة

كم عالمٍ في يد الجا هلين مُلقَى الأزِمّه

كليوباترا : أقِلّ المَزحَ يا أنشو وأرسلْه بمقدار
فلولا الجهلُ ما رُحتَ تقيسُ الليثَ بالفار

زينون : يا سماء احفظي ويا أرض صوني
أظهرتْ عَطفهَا على زينون

كليوباترا : يا غانميز هاتِ النبيذْ
هاتِ اسقني واسقِ الحبيب
واسقِ المَلا

بولا الشاعر : بنتُ الدّنان أمّ الزمانْ
خبّأها في قَبْوِهِ
ساقي مِنا
لونُ الفَرَحْ حِنا القَدَحْ
سِرّ السرورْ صفوُ الحياهْ
قوتُ المُنى

كليوباترا : قيصرُ ، ذي سُلافةُ الفيومِ
تُنسَمَى إلى عَقائل الكروم

مَحبوءة من عهد مصرائيم
قد عُمّرت كعمرُ النجوم
دِنانُ مصرٍ لا دنانُ الروم

القواد الرومان [يدمدمون ويتهامسون] :

قائد : قولوا يا رومانيّونا تحيا روما

آخر : تحيا

ثالث : تحيا

أنشو [ضاحكا] :

تحيا الخمر يحيا السكرُ

القواد : تحيا روما

جماعة من المصريين : تحيا مصرُ

أنطونيو : أيها الشادي أياسُ بلغ السكرُ مَداهْ
غنّني شعرَ ملاكي غنني شعرَ الإله
أنا لا أطرَبُ حتى أسمعَ «والحبّ الحياه»

أياس [مغنياً] :

أنا أنطونيو وأنطونيو أنا ما لروحينا عن الحبّ غنى

غنّينا في الشوق أو غنّ بنا نحن في الحب حديثٌ بعدنا

***

رجّعت عن شجوِنا الريح الحنون وبعينيْنا بكى المزْنُ الهتونْ
وبعثنا من نفاثاتِ الشجون في حواشي الليل برقاً وسنى

***

خبّري يا كأسُ واشهدْ يا وتر وارْوِ يا ليلُ وحدّث يا سحرْ
هل جنينا من رُبا الأنس السمر ورشفنا من دواليها المُنى

***

الحياةُ الحبّ والحبّ الحياه هو من سرحتها سرّ النواه
وعلى صحْرائها مرّت يداه فجرت ماءً وظلا وجنى

***

نحن شعرٌ وأغانيّ غدًا بهوانا راكبُ البيد حدا
وبنا الملاّح في اليمّ شدا وبكى الطيرُ وغنّى موهنا

***

مَن يكن في الحب ضحى بالكرى أو بمسفوح من الدمع جرى
نحن قرّبنا له مُلكَ الثرى ولقينا الموت فيه هيّنا

***

في الهوى لم نألُ جهدَ المؤثر وذهبنا مثلاً في الأعصُر

هو اعطى الحبّ تاجيْ قيصر لم لا أعطي الهوى تاجيْ مِنا

**

صوت: مرحى مرحى يحيا الفنّ

آخر: يحيا الشعرُ

ثالث: يحيا اللحنُ

[تقوم كليوباترا إلى شرفة فيتبعها انطونيوس]

قائد روماني [لزميل من زملائه هامساً]:

هلاّ نظرتَ إلى الأميرة؟ إنها سَكْرى تعثّر في خليع عذارها

آخر: وتأمل المفتون كيف جرى على آثارها وانجرّ في تيارها

آخر [لزملائه حيث يسمعه اوروس وأولبوس]:

وانظرْ إلى أوروسَ في تردّدهْ يأبى الهُتافَ معنا لمولدِهْ

أولبوس [ساخراً]:

أوروسُ مِلءُ يومه مِلءُ غدهْ فتى تَضجّ الحربُ من مُهنّدهْ

ويَشتهي الأبطالُ فضلَ سؤدده قد راعني فناؤه في سيده

بنفسه وقومه ومَولده يَغلو غُلُوّ الكاب في تودّده

يُقيّدُ الكلب وراء مَرصده فيحرسُ الدار على مُقيّده

أوروس :

تلك الدّعابةُ يا طبيبُ ثقيلة فحذارِ ثم حذار من تكرارها
لولا الوليمةُ والشرابُ وحرمة لأميرة الوادي السعيد ودارها
لنزعتُ من أقصى لهاتك مُضغَة كثرت على الأبطال في امتهتارها

أولمبوس :

أوروسُ !

اوروس :

أولمبوسُ صهْ بَرحَ الخفا ورأيت نفسك في مفاضح عارها
ماذا خبأت من السّموم لملكة غفلت عن الأفعى ولؤم جوارها؟
إلا تكنْ عليمتْ فإنك عندنا جاسوسُ اكتافيوعلى أسرارها
ما زلتَ مذ وفدت تطلعُه على أخبار قيصر أو على أخبارها
إنا رجالَ الحرب ليس يَفوتُنا لحظُ العيون ولا خفيّ حوارها

[اولمبوس يحاول ان يتكلم فيمسك به قائد روماني ويهمس اليه] :

أقصِر أخي إن الجماعة عربدت فإذا لَجَجتَ لفتّ من أنظارها
إسلمْ بنفسك في الظلام ولا تثِرْ ريباً أخاف عليك غبّ مثارها

تلك الدعابة يا طبيب ثقيلة فحذار ثم حذار من تكرارها

(صفحة ٥٠)

إني لأخشى الكأس أن تجري دماً فتصيب شيئاً من رشاش عقارها

أولبوس [لنفسه وهو ينسل إلى الخارج] :

أوروس! أنطونيو! حسابكما غداً روما الأبيّة لم تنمْ عن ثارها

[يخرج]

أنطونيو [من اقصى البهو] :

أما للرقص هيلانة في ليلتنا حصّة؟
ألا نجمَعُ بين الكأ س والنغمة والرقصة؟
فهذي فرصة الأنس وقد لا ترجع الفرصه

هيلانة : الراقصاتُ يقمْنا الراقصاتُ يثبنا
ولا يدعْنَ افتناناً ولا يُقصّرن فنا

[تقوم الراقصات ، برقصة مصرية]

انطونيو [قادماً] :

مرحى مرحى يحيا الفنّ

صوت : يحيا الرقصُ

آخر : يحيا الحسنُ

أنطونيو :

قد انتصف الليلُ أو فوق ذاك وآذننا بالمضيِّ الدّجى

ودونَ الخيام مُرَى ساعة وعند الصباح تَدور الرحى
فهل تَأذَنين لنا يا مَلاكُ فلا بد من سِنةٍ من كرى
ولستُ أقولُ مَلا كي الوداع ولكن أقول إلى الملتقى

كليوباترا:

مكانَك قيصرُ لا تَذهَبنّ ولاتبرَح القصرَ أهلِكَ أسى

انطونيو:

ذَريني أعبّىء للقتال كتائبي فلي في غدٍ شأنان في البر والبحر
ذريني أهيّىء للأحاديث في غدٍ فإن غداً يومٌ سيبقى على الدهر
ذريني أزِد تاجيكِ غارَ وقائعي وأقرِن بثعباني جلالهما نَسري
ولستُ اخافُ الدارعينَ وإنما أخافُ فجاءاتِ الخيانة والغدر
وليس كمينَ الحرب ما أناهائبٌ ولكن كمينَ الغدر في ظُلمة الصدر

[لأخيل]:

فياقائدَ الأسطول هل من مَكيدةٍ تُدبّرُ لي خلفَ الشراع وما أدري

كليوباترا:

إمضِ إلى الهيجاء أنـ طونيو كما يمضي الأسدْ
إن الأسود في اللّبَد دونك في هذا الزّرَد

إمضِ إلى المجـد ولا يُقعِدك شُغلٌ في البلد
المجـدُ لا يَسألُ عن صاحبةٍ ولا وَلَد
أنت لروما في غـدٍ وقيصرونُ بعـد غد
والشرقُ سلطاني الذي إكليلُه لي انعقَد
يا ليثُ سِرْ، يا نَسرُ طِر عُدْ ظافراً أو لا تَعُد

« ستار »

الفصل الثالث

« معبد في الاسكندرية ، يقسم جداره المسرح إلى قسمين »
« القسم الأصغر خارج المعبد وتنهض فيه شجرة باسقة ، والقسم »
« الأكبر داخله وتظهر فيه حجرة الكاهن الأكبر أنوبيس »
« وعلى جدرانها رفوف نسقت عليها حقائق وقوارير وهناوهناك »
« صرر وصناديق يشف بعضها عما فيه من انواع وحيات – باب »
« خلفي يؤدي إلى المعبد . ونافذة جانبية تطل على الفضاء »

[في حجرة الكاهن أنوبيس]

أنوبيس [يناجي نفسه] :

يقولون أنوبيسُ ... ولوعٌ بأفاعيه
ومشغوفَ بثعبانٍ ... من الوادي يُربّيه
وفي ناديه حيّات ... من الجن تُناجيه
ولو ذاقوا هوى العلم ... كما ذقتُ فنوّا فيه
ألا يا رُب خدّاعٍ ... من الناس تُلاقيه
يَعيبُ السّمّ في الأفعى ... وكلّ السمّ في فيه !

[يخرج من الباب الخلفي]

***

[خارج الهيكل – تحت الشجرة – أنطونيوس واوروس]

انطونيوس : أوروس إني جَهِدتُ مَشياً ... ومَسّني الضرّ والكَلالُ

فمل بنا نستريح قليلًا من قبل أن يدهم الرجال

[يجلس أنطونيوس منهوكا على حجر فتأخذه الذكرى] :

أوروس ، ماذا دهاني ؟ حتى نسيت مكاني
أتيت ما هد مجدي وحط رفعة شاني
جللت نفسي بعار يبقى بقاء الزمان
لما حملت جوادي على الفرار ازدراني
وضج مني سيفي وضج مني سناني
وودت الأرض تحتي لو طهرت من عياني
أنا الذي كان أمضى من الحديد جناني
الشرق يدري نزالي والغرب يدري طعاني
كان الملوك عبيدي فصرت عبد الحسان
ولست أول حر إستعبدته الغواني

[يسكت لحظة ثم يستمر]

ولم أر كالحرب استراح قتيلها وأفضى إلى القيد الأسير المقيد
ولكن شقي الحرب والمصطلى بها
إذا انفضت الحرب الطريد المشرد

ولولا اختلافُ الحرب بالناس لم يَهُنْ
عزيزَ ولا يَنزِلْ على القيدِ سيّد

أوروس :

وقارَكَ قيصرُ لا تجزعنّ وخلِّ المقاديرَ تجري المدى
تلقّ الهزيمة ثبْتَ الجنان كما كنت تلقى الفتوح العُلا
فما أنت أوّلُ نجمٍ أضاء ولا أنت آخرُ نجم خبا
وقد تنزلُ الشمسُ بعد الصعود وتسقمُ بعد اعتدال الضحى
ويا ربّ غارٍ عراه الجفوفُ على هامةٍ قد علاها البِلى
أمالك أنطونيو أسْوَة ببوليوسَ قيصر اين انتهى؟
رأيتك والحرب تبْلو الكُماة فأشهدُ كنت إلهَ الوغى
وقد كان سيفُك غولَ السيوف وكانت قناتُك غولَ القنا
وكنت إذا الموتُ أفضى اليك تحدّيْتَه فانثنى القهقرَى
وكان جنودُك تمرّ الجنود عليك وخيرهمُ للعِدى
فخانت اساطيلُ أمّلتها وجيشٌ عَقدْت عليه الرجا
وخُلِّفتَ في عسكرٍ كالنعاج كثيرِ الشّغاء قليل الغَنا
فمن يائس مات قبل القتال ومن خائفٍ فرّ قبل اللقا

انطونيو :

إذن لم اكن في الوغى بالجبان ولا خنت اوروس عهد الهوى
وتشهد أني انطونيوس وأني ابن روما وأني الفتى ؟
فإن عشت عشت نقي الجبين وإن مت مت كريم الثنا

[يرى انطونيو شبحاً فيسأل اوروس مبهوتاً]

انطونيو : أوروس !

اوروس : مولاي

انطونيو : تأمل من ترى؟

اوروس : هذا أولمبوس وقد حث الخطا

أنطونيو : ترى إلى أين؟ ومن أين أتى؟

اوروس : ها هو سار نحونا ها قد دنا

[يظهر اولمبوس]

أولمبوس : تحية قيصر

أنطونيو : بل أنطونيو لاغير بل قل الشريد المقتفى
لا تخدعوني قادراً وعاجزاً كفى غروراً بالولايات كفى

أولمبوس : مولاي

انطونيو : لست اليوم مولى أحد أكتافيو السيد والعبد أنا

مررت بالقصر فكيف ناسهُ ؟ هل عن كليوباترا أولمبوس نبا؟
مرّ ح أبن، قل غدرت ، قل جددت بقيصر الثالث دُولةَ الهوى
قد صَنعتْ بي عند حاجة الوغى ما لم يكنْ يصنعهُ بيَ العدا
أسطولُها إلى مراسيه أوَى وجيشُها ألقى السلاحَ ونجا

أولمبوس : مولاي ! اعفِني

انطونيو : تكلمْ لا تخفْ

إني أرى عليك رَوْعَه الأسى

اولمبوس :

مولاي مهلاً في الظنون واتّئِدْ إن من الظن اتهاماً وأذى
أنت على مالكَ من مُروءةٍ رميتَ بالغدر أحب من وفى

انطونيو: ماذا تقول ؟

اولمبوس : كيلبترا انتحرت بطنعة الخنجر في صدر الضحى

انطونيو :

باللسماء ! انتحرت ! أين ؟ أينْ ولمْ ؟ وكيف كان ذاك ؟ ومتى ؟

أولمبوس :

مَررْتُ بالقصر ضحى اليوم فلم أجدْ له نَظيراً لا حسناً يُرى

بدا لعيني خلاء موحشاً غير عويل هاهنا وهاهنا

انطونيو : انتحرتْ ! يا للخبرْ ! ويا لقسوة القدر !
إن الأمورَ انتقلتْ من خطرٍ إلى خطر
ما غدرتْ وإنما أنا الذي بها غدر
واخجلتا من قولهم انتحرتْ وما انتحر ! *
إذهب أولمبوسُ ودع ني والهمومَ والكدر
ما بجراحات القلو ب للأطبّاء بَصَر

[يذهب اولمبوس]

[روما] :

روما حنانَك واغفري لِفتاكِ أوّاه منك واهٍ ما أقساك!
روما سلامٌ من طريدٍ شارد في الأرض وطّنَ نفسه لهلاك
اليومَ يَلقى الموتَ لم يهتف به فاعٍ ولا ضجّتْ عليه بواكي
إن الذي اعطاكِ سُلطانَ الثرى لم تنعمي لرُفاته بثراك
إن الذي بالأمس زِنتِ جبينَه بالغارِ عَقّك جُهدَه وعصاك
يا ربّ تاج في جبينك زاهر عَطلتْ منه مَفارقَ الأملاك
الأمّهاتُ قلوبهنّ رقيقةٌ ما بالُ قلبِك لم يَلِنْ لفتاك!

أعرَضْتِ غَضبى في الحياة فرحمةً ... لا تحرميني في الممات رِضاكِ
إن كان موتي كلّ ما تبغينه ... فهَنَاكَ! هأنذا أموتُ، هَناكِ!
يا أمّ، عُذرُكِ في اتهام بُنُوَّتي ... بادٍ وعذري في العُقوقِ كذاكِ
لولا الجمالُ وفتنة من سِحرِه ... ما حلّ في قلبي هوىً لسواكِ
صفحاً كليوباترا فرُبّتَ زلّةٍ ... قد كنت تغتفرين حين أراكِ
لما لقيتُكِ في الجمال وعِزّه ... قَهرتْ قواي الظافرات قُواكِ
فنسيتُ في ناديكِ ذكرَ وقائعي ... وسلوتُ أيامي بيوم لِقاكِ
سجدتْ لأعلامي الصّوارم والقنا ... وأبى مُهندُ لَحْظِكِ الفتاكِ
قدتُ الجحافلَ والبوارج قادراً ... ما لي ضعُفتُ وقادني جَفناكِ؟
أخرجتِ أمري واختياري من يدي ... وتركتِني نفساً بغيرِ مِلاكِ
خِلتُ السلامة في نَواكِ فذُقتُها ... فإذا الكوارثُ كلهنّ نواكِ
عاديتُ قومي في هواكِ واضرمتْ ... روما عليّ الحربَ من جرّاكِ
وشردتُ في شرق البلاد وجدّ في ... طلبي عِدايَ بغربها وعِداكِ
أغدو على سيف العدوّ وناره ... وأروحُ بين مكامنٍ وشباكِ
وتلمّستْ نفسي السيوف ورامني ... في البر والبحر الكميّ الشاكي
كانت حياتي للرجالِ أليّةً ... واليومَ هُنْتُ فأقسموا بهلاكي

ولقد ذهبتُ من الظنون مذاهباً ... فذممتُ عهدك واتهمتُ وفاك
حتى إذا حُمّ القضاءُ وراءني ... عُطُلُ المقاصر من بهاء حُلاك
ضحّيتُ بالدنيا وقلتُ رخيصةٌ ... وبذلتُ أيامي وقلتُ فداك

***

أماناً إلهَ الحرب ما أنت صانعٌ ... بهذا الحُطام المستباح المُبعثَر؟
لقد ذَلّ من بعد امتناعٍ كأنه ... بقيةُ نَصلٍ أو رُفاتُ عَضنفر
صدعتَ أكاليلي وحطمتَ صارمي ... وجرّدتَني من أرجواني المظفّر
ولم تألُني هدماً وكنتَ بنيتني ... بناءَ الصّناع القادر المُتجبّر
ملأتَ سبيلي بالهوى وصروفه ... ومن يَمشِ في ارض الهوى يتعثر
تنكرتَ حتى اخترتَ لي معول الهوى ... فليتَك لم تغضبْ ولم تتخير
أوروس غلامي، إن في النفس حاجةً

اوروس : وعندي اقصى طاعة العبد فأمُر

انطونيو :

أوروسُ أرى الدنيا بعيني اظلمتْ ... وكانت قديماً كالصباح المنوّر
وضاقت بيَ الأرضُ الفضاءُ فكلها ... سبيلُ طريدٍ ضائع الدّم مُهدَر
غويتُ وأوْفى بي على الحفرة الهوى ... فخفتُ، ومن يركب شفا الجرف يذعر
فشعريرةُ الخوف اعترتني ولم تكن ... إذا ما اقشعرّت تحتي الأرض تعتري

مللتُ من الأحداث رُعباً فضمني ... اليك وقرّب من إزارك مئزري
أرى الموتَ ممدودَ اليدين كمنقذٍ ... لمثلي من غرقى الحياة مُسخّر
دعاني، ولو أني على النفس مُشفقٌ ... مددتُ اليه الكفّ لم أتأخّر
أروس، أرى الماضي بطيف خياله ... وتعرض لي احلامُه في التذكر
ذكرتُ بروما أربُعي وملاعبي ... وأين ضفافُ النيل من شطر تيبر؟
وأيامَ يدعوني الهوى فأجيبُه ... وينفخ في البوق المنادي فأنبري
فتنتُ الغواني بُرهةً وفتنّني ... ولكنني عن سُؤددٍ لم أقصر
فهمّةُ قلبي في شرابٍ وصبوةٍ ... وهمة نفسي في عَلاءٍ وفخر
أروسُ توافقنا على كلّ غمرةٍ ... وكلّ مجال ثائر النّقع أكدَر
وفي مِهرجان الفاتحين وعُرسهم ... وتحت لِواء أو على عُودِ منبر
فمالتْ بنا الدنيا فصِرنا بموقفٍ ... شديدٍ على الأبطال بالذل مُشعر
نرى الأرضَ فيه والسماء تناهتا ... إلى فلكٍ نَحسِ الجهاتِ مُسمّر
فكيف مقامي يا أروس على الأذى ... وصبري على العيش الذليل المكدر!

اروس:

أجل قيصرُ اعتضْنا من العزّ ذلة ... ومن حِلية الأعلام عُطل التنكر
فهنّا كأنقاض الحصون على الثرى ... وضعنا عليه كالقنا المتكسّر

نهيمُ كأبناء السبيل وطالما أخفنا سبيلَ العاهلِ المتكبر
وما منزلُ الأبطال إلا رحى الوغى إذا هي دارت أو رواق المعسكر

أنطونيو : فماذا ترى اوروس ؟

اروس : رأيك اولُ وعندك ترجى نظرة الصدق فانظر
لقد عشتُ ظلّا لا أرى غيرَ ما ترى ولا خيرَ في الرأي التبيع المسيّر

أنطونيو :

أروس ، انا الأعمى وانت لي العصا فخذْ بزمام العاجز المستحيّر

اروس :

أرى ما يراه العاجزون إذا جرى على النفس محتوم القضاء المقدّر

انطونيو :

وماذا يقولُ العاجزون إذا ابتلوا

اروس : يقولون حكمُ الله يا نفسُ فاصبري

انطونيو :

أروسُ ، يقومُ العاثرون وقلّما يُقالُ عثارُ الكوكبِ المتغوّر
أروسُ ، ألم تفهمْ ؟ هو الذلّ فاشفني بضربةِ سيفٍ أو بطعنةِ خنجر

فإنك حرٌّ إن فعلتَ وفاتُرٌ بسيفي وأثوابي ودرْعي ومغفري

اوروس :

مَعاذَ خلالِ البِرّ مولاي! أعْفِني فليس بدي تقوى ولا السيف يجتري
وأنت الذي لو بِيعَ بالروح ودّه ومالي سوى روحي تقدمت أشتري
لآلهة الرومان أشكوكَ قيصري ظلمتَ فلم تُنصفْ ولاني وتَقدُر
أتجعلُ في الميزان حُبي وطاعتي وشتّى عروضٍ من ثيابٍ وجوهر؟
لقد جادلي بالسيف والدّرع قيصر

[يطعن نفسه بخنجره] :

وُجدتُ بأيام الحياة لقيصر

انطونيو :

أوروسُ، عفواً قد ذهبتَ ضحيةً وجَنى عليك تردّدي المقوتُ
فعلمتَ مِني كيف يَجبُنُ قيصرٌ وعلمتُ منك العبدُ كيف يموتُ

[يطعن انطونيو نفسه فيخر على الأرض جريحا]

[ينتقل المشهد إلى داخل المعبد حيث يدخل انوبيس إلى حجرته ويناجي اقاعبه]

انوبيس :

هلمّ لكنْ بناتِ التلال وجنّ الخرائب منْ صالحجرْ
تبدّلَ من حولكنّ المكانُ وأين القِفارُ وأينَ الحُجَر

فعلمت مني كيف يجبن قيصر وعلمت منك العبد كيف يموت

(صفحة ٦٥)

يـدُ العلم وهي حديديةٌ حوَتْكنّ من جَنبات الحفَر
وجاءت بكنّ إلى حُجرتي أسارى القوارير رَهنَ الصّرر
أرابنيَ الناس في أمركنّ وصرتُ حديثَهمُ والسّمَر
وقيل أنوبيسُ حاوٍ تسيلُ إليه الأفاعي إذا ما صَفَر
وما فِتنتي بجلودٍ لكُنّ مُرَقّشةٍ كإهاب النمِر
ولا بهياكلَ مثل العِصِيّ من اللحم لا من فروع الشجر
ولا برءوس كَدِقّ الحصا ولا بعيونٍ كوقْدِ الشّرَر
ولكن أزاولُ علم السموم وعلمُ السموم جليلُ الخَطر
لقد كان لي في مُعاناته تجاريبُ أنفقتُ فيها العُمُر
إلى أن نجحتُ، نعم قد نجحتُ وعاقبة الصابرين الظّفَر
فكم قد شفيتُ بطبي اللّديـ ـغَ وأيقظتُ من نزْعه المحتضِر
فقيل إلهٌ أعاد الحياةَ إلى الميّت أو خِدْنُ جنّ سحر
صَنعتُ من السم تريا قـه وقد يختفي النفعُ تحت الضرر
وأنتنّ والناسُ قد تلتقون ففيكنّ شرٌّ وفي الناس شر

[تدخل حاملي خلسة]

أنوبيس [مستمراً] :

وتقتلنَ عمْيَ عيون السلاح ... ويَقتلُ قاتلُهم عن بصر
لِسانُ ابنِ آدمَ أو نابُكنّ ... كلا السائلين لعابُ القدر

حابي : سَلامٌ أبتِ

أنوبيس : حابي ؟ ... سلامٌ لكَ يا حابي

حابي : أمشغولٌ أبي اليومَ ... بذات القَرْن والنابِ
وأنطونيوس مهزومٌ ... وأكتافيو على الباب ؟

أنوبيس [باستخفاف وهو يشير إلى أفعى] :

حابي ، تقهقر ناحيهْ ... تلك الخبيثةُ داهيهْ

[يتقهقر حابي قليلاً بينما يلهو الكاهن انوبيس بالحقاق والقوارير]

تلك القوارير وذي الحقاقُ ... غَوْث إلى مُستنجدٍ يُساقُ

* لكل سُمٍّ عندها تِرياق *

أبتي ، من للرّعيّهْ ... من لأوطاني الشقيهْ ؟
خَلِّ حيّاتك في الأسـ ... فاط واشعُرْ بالرزيّه
بعد حين تملأ الوا ... دي الأفاعي البشريّه
أبتي نحن من اليو ... م عبيدُ القيصريه

أدنِ أذنيك على قدْ سها من أذنيّه
واسمع البوقَ تجِد من أحرفِ الرقِّ دَويّه

انوبيس : حابي، تقبّل هذه القِنينه واقبِض عليها بيدٍ ضنينه
فإنها ذخيرةٌ ثمينه !

حابي [لنفسه] :

يا للسماءِ لأبي ؟ تُراه يَستهزىء بي ؟
وبحَ له ، عساه جُنّ أو لعله نبي
أوحتْ له السماءُ علـ م غيبِها المُحجّب
يَعلمُ من يُلدَغُ من رَقطاءَ أو من عقرب
لأحملَنّ حُقّه مثلَ نَميمةِ الصّبي
يا لكَ شيخاً طيّباً يأتي بكل طيب !

[مخاطباً انوبيس الكاهن] :

ربعَ الحِمى أبي فكيـ ـف الحِمى لم تَغضبِ ؟
دعِ الأفاعي واشتغِل بالأفعُوان الأجنب
الوطنُ المَلدوغ أو لىَ اليومَ بالمُطبّب

أنوبيس : وأين كنت يا فتى وأين فتيان الحمى؟
وأين فرسانُ المقا ل هل مَضوْا إلى الوغى؟
أدَرْتُمُ وجوهَكم ساعةَ دارتِ الرحى
تركتم أنطونيو سَ وَحدَه يَلقى العِدا
من أجلكم سلّ الحُسا مَ وإلى الحرب مشى
ما كان ضرّكم لو الـ تففتم على اللِّوا ؟
أبعد أن حلّ على الـ ـنيل ووادِيه القضا
ولم يَجِدْ من شِيبهِ ولا شبابهِ فِدا
أتيتَ تَدعوني كما تدعو العجائزُ السما
الرأيُ ليس نافعاً إذا أوانُه مضى

[يدخل جند من حرس الملكة]

الجندي : مولاي ، ذات الجلالة

أنوبيس : الملكةُ الآن عندي ؟

[تدخل كليوباتره في حاشيتها]

كليوباتره : تحيةً يا أبتِ

أنوبيس : سيدتي في حُجرتي

مُري بما شئتِ يَكنْ وإن تحدّى قــدْرتي

كليوباترا :

أبي، أعلمتَ أن الجيش وَلّى وأن بوارجي أبتِ المُضيّا

انوبيس :

علمتُ وكان ذلك في حسابي وذا حابي به أفضى إليّا

كليوباترا :

وهل نَبّاك عن انطونيوس وكيف جرتْ هزيمتُه عليّا
وما أدري أأردُوه قتيلًا صباحَ اليوم أوأخذوه حيّا؟
أبي ذهب الحليفُ فكنْ حليفي فقد أصبحت لاأجِد الوليّا
أبي خفتُ الحوادثَ

انوبيس : لا تُراعي لَباةُ النيل ليس تخاف شيّا

كليوباترا :

أبي لاالعزلَ خفتُ ولا المنايا ولكن أن يَسيروا بي سَبيّا
أيوطأ بالمناسم تاجُ مصرٍ وتمشتْ شعرةٌ في مفرقيّا؟

انوبيس [باستخفاف] :

لتأتِ المقاديرُ أو فلْتَذر تعالي كليوبترا ألقي النظرْ

كليوباترا :

أفاعٍ ؟ أبي، نحّها ، اخفِها؟ أعوذُ بإيزيسَ من كلّ شر
فماذا تريدُ بإحرازهنّ وهل يقتني عاقلٌ ما يضر؟

انوبيس :

أتيتُ بهنّ لدرس السّموم ولم أخلُ في علمها من نظر
أداوي بها أو بترياقها مُحبّ الحياة أو المنتحِر

كليوباترا [كأنما تحدث نفسها] :

محب الحياة أو المنتحِر !

كفى أيها الشيخُ إبلاهات زِدْ فما بيَ خوفٌ ولا بي حَورْ
وإن تكُ بي خشيةٌ في النساء فلي جرأةُ الملكات الكُبر
تكلمْ فليست سمومُ الأراقـ ـم في الحُبّ دون سموم البشر
فبارُبّ صَفوٍ سَقيتُ الرجالَ فلما ترَوّوْا سقوني الكدر

انوبيس :

قِصارٌ وهُنّ سهامُ المنون وليس يَعيب السهامَ القِصرْ
تمسّ الفريسة مسّ السنان وتمضي مَضاءَ الحسام الذكر
وكلّ الذي لَمستْ مَقتلٌ ولو انشبت نابَها في ظُفُر
إذا جَرحَتْ لم تَقم عن دمٍ كذلك يجرحُ سهمُ القدر

ومائتُها لا يُحِسّ المنونَ كمَن مات في النوم لايحتضر

كليوباترا [مرددة قوله في صوت خافت] :

ومائتُها لا يُحِسّ المنون كمن مات في النوم لا يُحتضر!
ولكن أبي هل يُصانُ الجمال؟

انوبيس :

نعم لا يَحولُ ولا يَندثر

كليوباترا:

وهل يَطفأ اللون ؟

انوبيس :

لا بل يُضيءُ كما رفّ بعد القِطاف الزهر

كليوباترا :

وهل يبطل الموت سحر الجفون ويُبلي الفتورَ ويُفني الحَوَرْ

أنوبيس :

كعهد العيون بطَيف الكرى إذا الجَفنُ ناء به فانكسر

كليوباترا :

أبي والشفاءُ ؟

أنوبيس :

لواقي الذبول كما احتضر الأقحوان النّضر
وما الموت أقسى عليها فما ولا قُبلةٌ من عوادي الكبر

كليوباترا :

وما عَضَّةُ الناب ؟

انوبيس :

وخزٌ أخفّ وأهْونُ من وَخزات الإبر

كليوباترا :

وما شَبَحُ الموت ؟

انوبيس :

ماذا أقولُ ؟

كليوباترا : تُمثلُهُ لي كأنْ قد حَضَر

أنوبيس :

زعمتِ ابنتي الموت شخصاً يحس وعظّمتِ من خَطْبه ما صَغُر
وما هو إلا انطفاءُ الحياةِ وعَصْفُ الردى بسراجِ العُمُر
وليس له صورةٌ في العيون على قُبح صورته في الفِكَر
إذا جاء كان بَغيضَ الوجوه وإن جي، كان حبيب الصُّوَر

كليوباترا :

إذن هذه الرَّقطُ في ذمتي فصُنْها وأحسِنْ عليها السهر

وأقسمْ لئنْ آتِ إلي بهنّ ولو أن دوني الظبا والسمُر

انوبيس :

يمينـاً بايزيسَ أحملهن إليك وفي سلال الحُضَر
إذا بات في خطر تاجُ مصـ ـرَ سبقتُ إليك بهنّ الخطر

كليوباترا :

أتجعلُ لي يا أبي آيةً أميزُ الرسولَ بها إن حضر؟

أنوبس :

هو التين أبعثُ حابي به وبالرقط بين غضون الثمر

***

ابنتي ذلك محرا بي ادخليه للصلاة
واسكبي الدمعَ عسى أن يَقبَلَ الدمعَ الإله
هو ذو المُلْكِ الذي يبـ ـقى ويفنى ما سواه

[خارج الهيكل — ثلاثة جنود رومانية]

الجندي الأول : تحيا روما يحيا قيصرْ
الجندي الثاني : روما العُظمى أبداً تنتصرْ
الجندي الثالث : ماذاك ؟ مافوق الطريق ؟ ما أرى ؟
ميلا رفيقيّ معي لننظرا

الأول : هناك مقتولان ضرّجا الثرى
الثاني : نعم أرى ثمّ دما وخنجرا
وهيكلين من حياة أفقرا

الثالث : جُبِتَ ارُ يا مُصرِّف الحروب بارِكْ لنا في هذه الجيوب
وابعثْ لنا بالذهب المحبوبِ

الأول : يا عجب الأقدار! أنطونيوس؟

الثاني : أنطونيو! أجل وذا أوروس!
وأحسب السيدَ مات بيدهْ ثم هذا العبدُ مثالَ سيّده
لهفي على أنطونيو في مرقدهْ

[يئن أنطونيو ثم يحرك رأسه ويتبين الجنود]

أنطونيو :
ويحي أخيّ أنا جريحٌ ؟ ماذا يُريدُ القضاءُ ماذا
جنودُ أكتاف أدركوني يا ليتني مِتّ قبل هذا

جندي :
لا بل جنودُك لكن خانوك حُباً لروما

آخر : وما تَسوك عليهم تحت اللواء زعيما

ترمي بهم مَطلعَ الشمـ ـس أو تَؤُمّ النجوما

أنطونيو :

يا جنودي وصحـــابي ليس ذا وقت العتاب
أتركوني وعـذابي

[يغمى عليه]

جندي :

لهفي عليه عاده الإغماء وأوشكتْ تنزِفه الدماء
وليس إسعافٌ وليس ماءُ

آخر :

هَلمّا احمـلاه هَلمّا احمِلا وجيئا بمولاكما الهيكلا
وأمضي فأبلِغُ اكتافيوالا حديثَ أعرّفه المنزِلا

[في حجرة الكاهن — كليوباترا والكاهن والحاشية عائدين من المحراب]

كليوباترا :

أبي دخلت ونفسـي حَيرَى الزّمام حزينهْ
وقد تركتُ المُصلّى ومِلءُ قلبي سكينه
إن الصّلاة عـلى شـدّ ة الزمان مُعينـه

[يسمع صوت جندي من الخارج]

كليوباترا :

ما تسمعون أصيخوا شَرٌّ وهـذا بَريـدُهْ

كان الضجيج بعيداً والآن يدنو بعيده

حابي :

أسمعتم إضجةً صاخبةً وجريح وجنودٌ في الطريق
هاهمُ قد دخلوا الداربه

أنوبيس : دارُنا الشاطئُ لايأبى الغريق

حابي :

هاهمُ قد حضروا

انوبيس : يا مرحباً أعدُوّاً كان أم كان الصديق

[يدخل الجنديان اللذان يحملان أنطونيوس]

كليوباترا :

ويحَ ماذا ترى ؟ ومن الهـ مول كالسيف في الأكف خضيبا؟
أيها الجندُ ما بأيديكمُ اليـ م ؟

جنـدي : جريحٌ على الطـريق أصيبا

كليوباترا :

أفتدرون مَن حَمَلتم ؟

جنـدي : حَمَلنا هيكلا عَزّ في الرجال ضريبا
قد عرفناه خيرَ من هزّ رُمحاً ونضا صارماً ولاقى الحُروبا

[تتأمل كليوباترا في وجه الجريح]

كليوباترا :

آه أنطونيو ! حبيبي ادركوني بطبيب
ماتوَ ن الأرض تَروى من دَم الليث الصّبيب
أبتي ، أين قـوى طـ بّـ ـك والسحر العجيب
هو في إغماءة الجـر ـح فنبّـهْهُ بطيب
هو ذا يفتح عينيْـ ـه ويُصغي لنحيبي

انوبيس [محاولا إسعاف الجريح] :

تلك أنفاسُه تَوالى وهذا جسمه لا يزال غضاً رطيبا
هوذا قد تخلّجت شفتاه وتَهيّا لسانهُ ليَثوبا
أيها الملكة ارفُقي بجريح بات تحت الرداء جُرحاً صبيبا
لا تناديه بالدموع مِراراً ربما ضرّ جُرحَه أن يُجيبا

انطونو :

كيلُبترا ! عجبٌ ! أنت هنا ! لم تموتي . . هم إذن قد كذبوا

كليوباترا :

سيدي روحي حياتي قيصري أنت حيّ ؟

انطونيو :

بعد حين لا أكون

آه أنطونيو حبيبي أدركوني بطبيب

(صفحة ٧٩)

كليوباترا :

من تَعاني كَذبا ! من قالها لك !

أنطونيو :

أولمبوسٌ النذلُ الخؤون
مرّ فاستوقفتُه أسألُه قال ماتتْ فتجرّعتُ المنونْ

***

كليوباترا زوّديني قبلةً من ثناياكِ العذابِ الشبِهاتْ
وأضيئي بسَناها مُقلةً يُسدلُ الموتُ عليها الظلُماتْ
سيقولُ الناسُ عني في غد من أولي الرحمة أو أهل الشّمات
بَطلٌ لم تَظفَرِ الحربُ به في الهوى تحت لِواء الحب مات

[يسلم الروح]

كليوباترا :

قد تَداعى مِحْوَرُ الأر ض وميزانُ الشعوبِ
مال كالشمس جمالاً وجلالا في الغروب
أيها المجروحُ لو تد ري جُروحي وندوبي
أيها الذاهبُ قد آ ن عن الدنيا ذُهوبي
أيها الخالِصُ وُدّاً ليس وُدّي بالمَشوب
أيها الصادقُ وعداً ليس وعدي بالكَذوب

عن قريب ينطوي القبـ ـرُ علينا عن قريب
كلّلوه بالرياحيـ ـن وبالغار الرطيب
واهتفوا في أذنيه بأناشيد الحروب

***

واحبيباه، جاءه الموت فاستلـ ـم لا يستطيع إلا ذهوبا
كان ما خفتُ أن يكون وحلت نكبة لم تفاجئ المنكوبا

[تستوي قائمة]

أيها الجندُ مات قيصرُ فابكوا معي السيدَ الجسورَ الوهوبا
شبّكوا ساعديه من فوق صدر كان في الرّوع بالمنايا رحيبا
واعرضوا سيفه على راحتيه وار كزوا الرمح من يديه قريبا
لا بل امضوا لشأنكم جندَ روما ودَعوني وسيفَ روما السليبا
أنا وحدي له ديارٌ وأهلٌ إن دعا دارَه ونادى النّسيبا

[ينسحب الجنود]

ويح لي قد طلبتُ عند طباع النـ ـاس ما عزّ عندهم مطلوبا
خلق الناسُ للقويّ المزايا وتجنّوا على الضعيف الذنوبا
واحتفوا في الحياة والموت بالغا لب فانظر هل عظّموا مغلوبا
شيّعوا الشاةَ جيفةً بمُداهم وانقضّوا وهو في الرّمام الذبيبا

انوبيس :

الوقارَ الوقارَ يا لَبْأة النيـ ـل ولا تجعلي الزّئيرَ النحيبا
وقِفي للخطوب في عزّة الملـ ـك وفي كِبره تُذلّي الخطوبا

[يدخل جندي من جنود اكتافيوس]

الجُندي :

قيصر أكتافيوسُ آتي بعودُ أنطونيوسَ قيصرْ

كليوباترا :

قيصر ! فرّ الأسير منـه مَن في حمى الموت ليس يُؤسر

[يدخل اكتافيوس ومعه جنود]

أكتافيوس :

سلامٌ مَلِكةَ الوادي سلامٌ كاهنَ المُلْكِ
يقولُ الناسُ أنطونيـو هنا لـم يَبتعِـدْ عنـكِ

كليوباترا :

نعم لـم نَفترقْ بعد وإن أمعن في تركي
وهـذا الجسـد الفـاني جَـلاهُ الرّيب والشك

اكتافيوس :

إذن قد قُضِيَ الأمرُ وصار الليثُ للهُدْهُدْ
كليوباترةُ لا تَخشَيْ فلن آخذَه مِنك !

كليوباترا :

أبي تَهزأ أم بالمَيْـ ـتِ أم بالموقفِ الضَّنك
إن استطعتَ على مالـ ـك من بَطش ومن فَتك
وما حَولك من خيل وما تحتك من فُلْك
فخُذْه من يد الموت ومن عاجزةٍ تبكي !

[يدنو جندي من جنود اكتافيوس ليتحقق موت انطونيوس]

كليوباترا :

مكانَك يا عبدُ لا تَهتِكنْ على سيد الهالكين القِناعْ
تُريد لتَكشِفَ عنه الغِطاء عسى تحته حيلةٌ أو خداع
عَبَثْتَ به وهو تحت الطبا سِ مُلقى السلاح قليلَ الدفاع
ولم تَحتشِمْ بُقعةً من دم عليهنَّ تَحسُدُ مصرَ البقاع
ورُوِيدَك، ما الموتُ مُستبعدٌ ولا هو مستغربٌ من شجاع
وإن التاوتَ فعلُ الثعا لبِ ليس التاوتُ فعلَ السباع

اكتافيو :

أتأذن لي سيدتي أن أطيـ ... ـر إليك بنبأ فتح مبين
ومن كنت تحت القنا ظلّه ... فتى طاهر القلب حرّ الطباع
وكنا نشيد لروما الفخار ... ونجني لها الغار من كل قاع
ونأتي القلاع فنحتلها ... ويُخلص في خدمتي ما استطاع
ونركز في السهل أرماح روما ... وإن بعُدت كالنجوم القلاع
بإذنك ؟ ... ونطلع أعلامها في اليفاع ؟

كليوباترا :

قيصر لا إذن لي ... أينهى ويأمر من لا يطاع ؟
تصرّف بجثمانه كيف شئـ ... ـت فليس له اليوم منك امتناع
وما جثة الليث إلا لقى ... إذا الناب طاحت أو الظفر ضاع ؟

[يتقدم اكتافيوس فيرفع القناع عن وجه انطونيو]

اكتافيوس :

لقد حسَم الموتُ ما بيننا ... وغَضّ اللجاجَ وفضّ النزاع
فمن حقيَ اليومَ بل واجب ... علي أقدّسُهُ أن يُضاع
أقبّلُ ما قبّل الغارُ منـ ... ـك واهتفُ: أنطونيوس الوداع

[ستار]

الفصل الرابع

« في القصر الملكي ، في غرفة العرش ، شرفة مطلة على »
« البحر . كليوباترا متكئة على حافة الشرف ، شرميون »
« وهيلانة في اقصى الحجرة تنهمر من عينيها الدموع »

كليوباترا [كأنما تناجي نفسها] :

نام « مَرْكو » ولم أَنَمْ ... وتَفرّدتُ بالألمْ
ليتَ جُرْحي كجُرحه ... لَقِيَ الموتَ فالتأم
قاتلَ اللهُ ماضياً ... قَتَلَ المُفرَدَ العَلَم
أنطوانُ انفُضِ الكرى ... ساعةً وانقُلِ القَدَم
قُمْ كأمسِ اغنم الهوى ... واشربِ الراحَ بالنَّغم
وتَخَيَّرْ على المُنى ... وتَمتّعْ من النَّعم
واغمرِ الأرضَ بالقنا ... وتَغلَّبْ على الأمم
وقُدِ الخيلَ في الوِها ... د ووثباً إلى القِمَم
أيها العين ابصِري ... إنما كنتِ في حُلُم !

[ملتفتة إلى شرميون] :

ياشرميون بلغنا موْ ... قفاً حَرَجاً لا الرأيُ ينفعنا فيه ولا الباسُ
لم يَبقَ ثقبُ رجاء كنت أملؤه ... إلا تعرّضَ حتى سدّه الياسُ

[تلقي نظرة على الاسكندرية من الشرفة]

نجمي يُحدّثني بوشْك أفوله ... إسكندرية ، هل اقولُ وداعا؟
وشَيّدتُ بُرجَك جدولاً وخميلةً ... وكسوتُ بحرَك عُدّةً وشراعا
وأنا اللّسباةُ وقد ملأتُ تلك غابةً ... وأنا المَهاةُ وقد ملأتُ قاعا
قد خفتُ من بعدي عليك مما لكا ... يُطلِقْن فيك الفاتحين سِباعا
يَأتين زرعك بالرّياح عواصفاً ... ويجئنَ ضرعك بالذئاب جياعا
فإذا الحضارةُ بعد طول بنائها ... قد دُكّ ركنُ بنائها وتداعى

شرميون :

بإيزيسَ سيدتي بالولاء ... بطول التعاشر والمُصطحَبْ
بمالي ببابك من خدمة ... ومن صُحبةٍ تُشبهان النّسب
على أي وجهٍ أدَرْتِ المصير ... وقلّبْتِ رأيك في المُنقلب ؟
فهذا السكونُ يُثيرُ الشكوكَ ... وهذا الهدوءُ يثيرُ الرّيب
وماذا اعتزمتِ ؟ وماذا كتمت؟ ... أبيني فما بيننا من حُجُب
ولي في حياتك رأيٌ يُساقُ ... وليس عليّ إذا لم يُصِب

كليوباترا :

إذن فاذكري أن خصمي العتيد ... يخافُ انتحاري ويخشى الهربْ
وليس الذي يَشتهي لي الحياةَ ... ولكن له في حياتي أرَبْ

له في غـــد مَوْكبُ الفاتحيـ ... ـن إذا أقبلوا في جلال الغَلَب
يَجرّون في رومةَ الأرجوانَ ... وقد بَرَزتْ في الثياب القُشُب
وتزدانُ بالغـــار هاماتهم ... إذا ارتفعت في الخميس اللجب
يُحاولُ قيصرُ مني المُحالَ ... ويذهب في غير وجه الطلب
يريدُ ليَعرضني في غـــد ... على شعب روما كأني سَلَب
ويفضحُ مصـــر وسلطانَها ... وتاجَ العصور وعرشَ الحقَب
لقد ساء تدبيرُ أكتافيوسَ ... ولم يَلقَ من خدعتي ما أحب !

[تسمع وطء أقدام]

ماذا وراء الباب ؟

شرميون :

حسّ قادِم

هيلانة : أجلْ دبيبُ حارس أو خادِم

كليوباترا :

بل حارسٌ جافٍ ... من حَرَس القصرِ
مُعـــربِدُ الخطـو ... من نشوة النصر
لا تسعُ الأرض ... رِجليْهِ من كبرْ

شرميون :

مَلْكتي دعي هـذه الفِكَرْ
جنـدُ رُومـةٍ يَعْبُدُ البِـدَرْ
في سـبيلها يركَبُ الغَـرَرْ

كليوباترا :

شرميون صَهْ إنـه حضَـرْ

[يدخل حارس]

الملكة : ماذا وراءَ الجندي؟

الحارس : رسالة مـن عبـد
هل تأذنـين ؟

الملكة : أدِّ

الحارس : أيها المَلْكَةُ قد جا ءَ إلى القصر غـلامْ
في ثياب الحقل حلوُ الـ ـشكل ممشوق القوام
جادل الحرّاسَ في حذ ق ورفـق بالكلام
يَـدّعي أن أباه كان عبـداً للمَقام
نالَه بستانُ تـين من أياديك الجسام

فهْو يُهدي لك باكو رتَـه في كل عـام

الملكة [هامسة] :

شرميونُ ذاك حابي وجَنـاه في يمينهْ
جاء في المِبقات يُهدي لِيَ باكورةَ تينه

[للحارس]

ألا تَقبَلُ يا حـار س مني هذه البَدْره؟

الحارس: بشكران وهيهات على الشكران لي قدره

الملكة: والآن لو تحضر لي الفلاحا لعله يُحدث لي انشراحا
إني نسيت البَسطَ والمزاحا

الحارس: على السمع والطاعه سآتيك بـه الساعه

[يخرج الحارس

الملكة: يا شرميون تعلمي الدنيا ويا هيلانة اختبري الزمان القاسي
إن التي حُرست بأبطال الوغى باتت تصانعُ سِفْلةَ الحراس

[يدخل حابي في ثياب فلاح ومعه حارس]

هيلانة [همسا] :

حابي نعم وتلك نظرتهْ وهذه مشيَتـه وخَطرُتهْ
يا ليت شعري ما تكون سَلَّتُهْ ؟

حابي : تحيـــةٌ للمَلِكهْ ونعمـــةٌ وبَرَكهْ
ونفسُ عبـدها لهـــا وكلّ ما قد ملكه
ســـيدتي جئت إلى بحرك أُهـدي سمكه
أحمِلُ تيناً ولو اسـ ـتطعتُ حملت بملكه

حابي : سـيدتي

الملكة: أدنُ فـــإنه ابتعدْ وقل فما يسمعُ غيرنا أحدْ

حابي : سـيدتي

الملكة: حابي ، أنوبيس اجتَهدْ لنا وأنجز الغداة ما وعدْ !
يُريدُ أن يَشفيَني بما أجد وأن يقي بملكتي عار الأبد
جِئتَ كما يأتي لوقته المَدد
وقَيّدتَ لي حابي ولم تكنْ تَفي ضع السّلالَ وانصرفْ لا بل قف
حتى ترى كيف يكونُ مَوقفي

[تلقي نظرة على السلال]

مالي مُلئتُ من المنيّة رهبةً إن المنيةَ في رقاب النـــاس
آسى الجراح جَزعتُ عند لقائه والنفسُ تجزَعُ من لقاء الآسي

إني طويتُ بساطَ كل مُدامة ... لم يبقَ إلا شربُ هذي الكاس
يا خادميّ بل ابنتيّ تلطّفا ... في البحث حتى تأتيا بأياس
فعسى يُغنّيني نشيدَ الموت أو ... نغماً أجود عليه بالأنفاس

شرميون :

مَلِكتي نادي أياسا ... إنه بالقرب منكِ
هو في المقصورة الأخ ... رى مع الباكين يبكي
فكرُه فيكِ ولا يَج ... سرُ أن يَسألَ عنك

الملكة:

يا رَوحَ صحبي بعد طول سرورهم ... قعدوا إلى أحزانهم يبكونا
جيئي بهم يا شرميونُ لينظروا ... جَلَدي فيَهدأ بعضُ ما يَجدونا

[تخرج شرميون]

كليوباترا [تنحني على زنبقة في اصيص] :

زنبقةٌ في الآنيهْ ... ضحيةُ الأثانيهْ
جَنتْ عليها غُربةَ الـ ... أسر الأكفّ الجانيهْ
وبُدّلتْ من سَعة الـ ... ـبَوَة ضيقَ الباطيه
يسقونها من جَرّة ... بعد العيون الجاريه

يا جارتا شأنك لا يُشبهُ إلا شانيه
لم يبق من ملكي العريـ ـض غير دار خاويه
وكلنا ذابلةٌ عما قليل ذاويه
زال النعيم وفرغـ ـنا من حياة فانيه

[ترجع شرميون ومعها أياس وأنشو وغيرهم]

الملكة [إلى انشو] :

أنشو يَعزّ عليّ أنك ساهمٌ يبدو عليك الهمّ والتفكيرُ
أنشو ألا قولٌ يَسرّ وضحكة إن السعيدَ الضاحكُ المسرورُ
قد كان أيسرُ ما صنعت يسرني أعلى سروري اليوم أنت قديرُ؟

أنشو : سيدتي جرى بما فيه سرورُك القدرُ
من لا تسرّه السما ءُ لا يسره البشرُ
الملكة: أياسُ، هل من صوتٍ؟ غنّ نشيدَ الموت

[أياس يغني هذا النشيد]

يا طيبَ وادي العدَمْ من منزل من منزل
لم تمش فيه قدمْ للعُزّلِ وادٍ خَلِ
أنا فيه لحبيبي وحبيبي فيه لي

***

يا موتُ مِل بالشّراعْ ... واحمِلْ جَريحَ الحياهْ
سِرْ بالقلوع السّراعْ ... إلى شُطوط النّجاه

***

شِراعُك الفِضّي ... في لُجّه التّبرِي
كالحُلْمِ في الغَمضِ ... يجري ولا يجري

***

في ظلِ ليلٍ ساجْ ... أقسم لا يَسري
مُغلّلِ الدِيباجْ ... مُطيَّبِ السّتر

***

في يقظةٍ يَظهرْ ... لي أم أرى حُلْما
فُلْكٌ من الجوهر ... يَخترِقُ الظّلما

***

على الدجى لمّاح ... تَحسَبُهُ نجما
ليس به ملاّح ... يسلُكه اليمّا

***

أضْوى من الفجر ... في ظُلمة الأسداف
من نفسه يجري ... لم يُجرِه بِجذاف

***

مَدّ شِراعَ النورْ يا حُسنَ ما مدّا
كاللؤلؤ المنثور لو يَنفَحُ النّدّا

***

يا لكَ من زورقْ مَلاّحه الأقدارْ
ينجو به المُغرَقْ من لُجّةِ الأكدار

[يدخل الحارس]

الملكة: ما وراء الحارس ؟

الحارس: الطاعة يا ذاتَ الجلالهْ
قائد يحمِلُ من قِبَ صرَ أكتافو رسالهْ

الملكة: أدخله ، أدخلْ رسولَ قيصرْ

[يخرج الحارس ويدخل القائد]

القائد: قيصرُ العالي إلى سيدتي يُهدي التحيهْ
هو في الثكنة بالقرب من الدار السنيه
يُظهِرُ العَطفَ عليها وهي بالعطف حَرِيّه
ويقولُ الأمر ما تأمُرُ في الاسكندريه
ولها الوادي وما يحـ ـمِلُ مُلكا ورعيّه

وبنوها يَرِثون الـ ـمُلكَ من روما الوصيه
وإذا حَلّتْ بروما وجدت روما حَفيّه
تتلقّاها كأغلى درة في القيصريه
ما الذي تَقترحُ المُلـ ـكةُ ما تُملي عَليّه
لِتقلْ سيدتي حا جتَها تُقضَ العشيّه

كليوباترا [كأنما تناجي نفسها] :

وإذا حلت بروما وجدت روما حفيه !
تتلقاها كأغلى درة في القيصريه !

[تضحك في تهكم وألم]

أيها القائدُ أدّيـ ـتَ فأحسنتَ الأداء
بَلّغنْ قيصر عني كلّ شكر ودُعاء
ثم زِدْ أمنيةً قد بَقيَتْ لي ورجاء
أنا لا أكتُمُه ما سَرّ من أمري وساء
لِيَ سرٌ كاد عن نفـ ـسيَ يَزوِيه الخفاء
صُنته عن صاحباتي وصحابي الأمناء

حبذا لو زارني فيـ صرُ في هـذا المساء
وله الشكرُ إذا لم يأتِ أو إن هـو جاء

القائد :

سأذكرُ مولاتي لمولايَ قيصرٍ وأنقلُ ما أبديتِ من رَغباتِ
ولِمْ لا يُلبّي دعوةَ الحسن طائعاً ويسعى له مُستعجِلَ الخطوات؟
وقد كان يوليوسٌ يقومُ ببابهِ ويَمثُلُ أنطونيوسُ في العتبات!

كليوباترا [بعظمة]:

أسأتَ أخا الرومان فهم إشارتي

القائد :

إذن فهبي لي تلك من هفَواتي

[يخرج القائد]

كليوباترا :

أراني لم أُحسِنْ إليّ مُعاصري ولم أجدِ الانصافَ عند لِداتي
فكيف إذا ما غيبَ الموتُ ذاتي وبَدّد أنصاري وفضّ حُماتي!
كأنيَ بعدي بالأحاديث سُلطت على سيرتي أو وُكلتْ بحياتي
وبالجيل بعد الجيل يَروي زخارفاً فمن زور أخبارٍ وإفك رُواة
يقولون أنثى أفنت العمرَ بالهوى بهيميّة اللذات والشهوات

فِداً لغرامي بالرجال وحُسنِهم غرامُ الغواني أوهوى الملِكات
فليس الغلامُ البارع الحسن فتنتني ولا الرائعُ الأجلاد والعضلات
ولم يَستثر وَجدي من الروم فتيةٌ جُنون العذارى فتنةُ الخفِرات
ولا كلُّ غصن من بني مصرَ مائلٍ يَطيرُ إليه قلبُ كل فتاة
يموتون بي عشقاً ويَشقون بالهوى فكم من حياة في يدي ومات
ولكن عشِقتُ العبقريّةَ طِفلةً وفي الغافلات البُلهِ من سنواتي
كلِفتُ بكهل أحرز الأرض سيفه وحيزتْ له الدنيا من الجنبات
إذاهب من غرب البلاد تلفّتتْ بلادٌ بأقصى الشرق منذعرات
تَعثّر حظي بعد طول سلامة وأقلع نجمي بعد طول ثبات
ومن يمش في ورد الأمور وشوكها يَعُدّ الخطا أو يحسِبِ العثرات

[تنظر إلى السلال]

يا مرحبا بالسّلّةْ والرّقْبِ المُطِلّةْ
الكافياتي الذّلّةْ

[ينسحب الجميع مطرقين ما عدا الملكة ووصيفتها وحاملي]

كليوباترا:

أدخلي بي يا شرميون على طِفْ لي أودِّعْهُم الوَداع الرهيبا

فعساهم إذا تحجّب صدري وجدوا صدرَك الحفيَّ الرحيبا

[لحاني وهيلانة] :

ولديّ اهجروا القصورَ فإني قد وجدتُ النعيمَ فيها غريبا
ولها ضجةٌ وفيها فضولٌ يُرهِقُ الحبّ واشياً ورقيبا
خلّيا عنكما المدائنَ يا بنيَّ فضوضاؤها تُميت القلوبا
إن لي في سهول طيبةَ حقلاً طيبَ الماء والهواء خصيبا
غرستْه يد الشباب فأضحى وارفاً كالشباب حُسناً وطيبا
ألّف الحبّ من نواحيه أيْكا جمع الطيرَ هاتفاً ومُجيبا
يُسمعُ البُلْبُلُ العشيقةَ فيه وتُغني الأليفةُ العَنْدليبا
أفُقٌ لا يُظِلّ إلا مُحباً وثرى لا يُقلّ إلا حبيبا
إشربا من كرومه واسقياها صافيَ الحب والهوى المسكوبا
والعبا عند كلّ ماء غدير تريا الماءِ للحَبابِ لعيبا
وسلا الوردَ هل تنفّسَ في الور د وهل ناسم البعيدُ القريبا
أدركا لذةَ الشروق ولمّا تبلغِ الشمسُ بالحياة الغروبا

[تخرج كليوباترا وشرميون]

حابي :

هيلان، هذا مقال النصح من ملكٍ ... فما تَرَيْنَ وما تَنوين هيلانا
هاتُمّ طِيبةَ نـنزل في خمائلها ... ونبْنِ مثلَ بناء الطير دُنيانا
كطائرَيْن على بحرٍ وعاصفةٍ ... قد آنسا من وراء الشّط بستانا
تدار كتْنا أبرّ المالكاتِ بهِ ... وأشرفُ الناس إحساساً ووجدانا

هيلانة :

حابي، عرفتَ الحلال الطيّبات لها ... وكنتَ أمس أقلّ الناس عِرفانا

حابي :

خلّي الجفاءَ حياتي إن ساعته ... مضتْ وهذا أوانُ السلم قد آنا
اللهُ يشهدُ أني قد سدلتُ على ... ما كان من نَزَعات الرأي نسيانا
وانني اليوم أبكيها وأندُبها ... ولا أقيسُ بها في الطهر إنسانا
اليوم ضحّتْ وزكاها الفداءُ كما ... زكّى المقرّبُ باسم الله قربانا

هيلانة :

إن التي شبّ في نَعماها صِغري ... ونبّهتْ لي سُلطانها شانا
إن لم أمتْ دونها أو لم أمت معها ... فما جزيتُ عن الاحسان إحسانا

حابي :

والحبُّ هيلانَ ؟ ماذا تصنعين به

هيلانة :

إن الصداقة فوق الحب أحيانا

حابي أراها أزمعتْ وأرى الفجيعةَ واقعهْ
فاذهبْ فجئْ بأنوبسٍ فعسى يردّ الفاجعه

حابي : وسواءٌ أردّها أم أبى ذلك القدر
في غدٍ أيها الملا كُ إلى طيبةَ السفر

[يخرج حابي]

هيلانة : ويح حابي اعتقادُهُ أن سأحيا فنلتقي
ليتني نِلتُ قبلةً منه قبل التفرّق

[تدخل كليوباترا وفي اثرها شرمبون]

كليوباترا :

بروحي وإن لم تبقَ مني بقيّةٌ صغارٌ ورائي ذُوّقُ اليتم نوّحُ
أذوبُ لبلواهم وأعلمُ أنني حَمَلتُ عليهم ما يَجِلّ ويَفدَح
وقد أشتهي عيشَ الذليل لأجلهم فلا المجدُ يَرضى لي ولا النبل يسمح
فصفحاً صغاري إن شقيتم بصرعي وإني لأرجوا أن تغضّوا وتصفحوا

وَداعاً صغاري صيّرَ الله يُتمكم ... إلى خير ما يكفي اليتامى ويُصلح
أطفتُ بكم والنومُ تَسري سناتُه ... على صفحات كالأهلة تَلمَحُ
وما منكمُ في الحَزّ إلاّ حمامةٌ ... عليها طليلٌ ناعمَ الفَرْع أفيَح
تنامُ وما تدري الكرى ما وراءه ... ولا الصبح في ظل الرّبا كيف يصبح
أتغدو على الدنيا كأمس طليقةً ... ضحى اليوم أم يُغدى عليها فتذبح

[ملتفتة إلى هيلانة شرميون] :

فيم هيلانةُ تبكي ... نَ وأنت شرميون
كفكفي الدمعَ فلا شدّ ... ةَ إلاّ وتهون
واعلما بِنتيّ أن الـ ... بؤسَ والنعمى دُيون

[تركع أمام تمثال إيزيس]

اليومَ أقصرَ باطلي وضلالي ... وخلتُ كأحلام الكرى آمالي
وصحوتُ من لعب الحياة ولهوها ... فوجدتُ للدنيا خُمارَ زوال
وتلفتتْ عيني فلا بمواكبي ... بصُرت ولا بكتائبي ورجالي
وطِئتْ بساطي الحادثات وأهرقت ... كأسي وفضّتْ سامري ونِقالي
إزيسُ يا نبوع الحنان تعطّفي ... وتلفّتي اضراعتي وسؤالي
أنت التي بكت الأحبّة واشتكت ... قبل الأرامل لوْعَة الإرمال
إني وقعتُ على رحابك فارحمي ... ذلّ الملوك لمجدك المُتعالي

هل تأذنين بأن أعجّل نقلتي ... وأحُثّ عن دار الشقاء رِحالي
وعُلاكِ ما أدعُ الحياةَ جبانةً ... أو ضيقَ ذَرْعٍ أو قطيعةَ قالي
اني انتفعتُ بعبقريّ جمالها ... وتمتعتْ من عبقريّ جمالي
وجمعتُ بين شعورها وعواطفي ... وقرنتُ رَحْبَ خيالها بخيالي
ـ ووجدتُها قد خلّدتْ أبطالها ... فبسطتُ سلطاني على الابطال
ـ بنتُ الحياة أنا وتشهدُ سيرتي ... ما كنتُ من أمي سوى تِمثال
ـ منها تناولتُ الرّياءَ وِراثةً ... وأخذتُ كلَّ خديعة وِمحال
ـ وقسوتُ قسوتَها ولنتُ كلِينها ... واقتستُ في صدّيها ووِصالي
ولربما رَشدتْ فسِرتُ بُرُشدها ... وغوَتْ فأغوتْني وضل ضلالي
ووجدتها حباً يَفيضُ ولذةً ... فجعلتُ لذّاتِ الهوى أشغالي
يومي بأيامٍ لكَثرة ما مشت ... فيه الحياة وليلتي بليالي
ـ ولقد لَقيت من الحياة صَبيّةً ... ما جل من بؤس ورقة حال
ـ فخلعتُ مُلكي طفلةً وشردت في ... صدر الصبا ورأى المكارهَ آلي
شرعتْ عليّ السوْطَ في كتابها ... واليومَ تَضربُني بدرس غالي
ـ ياموتُ هل حَرَجٌ على مُستنجد ... بك أن يُسابقَ واقعَ الآجال؟

يومي أعجّله ولو لم انتحرْ ... للقيتُ يوماً ما له من تالي
ـ ياموتُ أنت أحبّ أسراً فاسبني ... لا تُعطِ روما والشيوخ عقالي
ـ ياموتُ لا تطفئ بشاشة هيكلي ... واحفظْ ظواهرَ لحمتي وجلالي
ياموتُ طفْ بالروح واسرقها كما ... سرق الكرى عينَ الخليّ السالي
ـ حتى أموتَ كما حييتُ كأنني ... بيتُ الجمال ودُمية المتثال
ـ وكأنّ إغماضَ الجفون تناعسٌ ... وكأن رقدتيَ اضطجاعُ دلال
ـ سرْ بي الى انطونيو في نضرتي ... ورُواء جلبابي وزينة حالي

[تقوم إلى إحدى السلال فتكشف التين عن افعى]:

هَلُمّي الآنَ مُنقِذتي هَلمي ... وأهلاً بالخلاص وقد سعى لي
شربتُ السمّ من فيك المفدّى ... بسلطاني وزِدْتُ عليه مالي
على نابيْك من زُرق المنايا ... شفاءُ النفس من سُودِ الليالي
وبعضُ السم تِرْياقٌ لِبعض ... وقد يَشفي العُضالُ من العضال
✓ دعوْتُ الراحةَ الكبرى فلبتْ ... فبُعداً للحياة وللنِّضال
هَلُمّي عانقي أفعى تصور ... بها شوقٌ إلى أفعى التلال
سَطتْ روما على مُلكي ولصتْ ... جواهرَ أسرتي وحُليّ آلي

فرُمتُ الموتَ لم أجبُنْ ولكن ... لعلّ جلالَه يحمي جلالي
فلا تمشي على تاجي ولكن ... على جسدٍ ببطن الأرض بالي
وقد علم البريّةُ أن تاجي ... نمتْه الشمسُ والأمر العوالي
يُطالبُني به وطنٌ عزيزٌ ... وآباءٌ ودائعهُم غوالي
أأدخلُ في ثياب الذل روما ... وأعرَضُ كالسّبيّ على الرجال؟
وأحدَجُ بالشمانة عن يميني ... ويَعرِضُ لي التهكّمُ عن شمالي؟
وألقى في النّديّ شيوخَ روما ... مكانُ التاج من فَرْقيّ خالي؟
وأغشى السجن تاركةً ورائي ... قصورَ العزّ والغرَفَ الحوالي؟
وتحكمُ فيّ روما وهي خَصمي ... وتُسرفُ في العقوبة والنكال؟
يَراني في الحبائل مُترَفوها ... وقد كان القياصر في حِبالي
إذن غيرُ الملوك أبي وجدّي ... وغيرُ طرازهم عمّي وخالي!
سأنزلُ غيرَ هائبةٍ إذا ما ... تلمّظت المنيّةُ للنزال
أموتُ كما حَييتُ لعرش مصر ... وأبذُلُ دُونه عرشَ الجمال
حياةُ الذلّ تُدفَعُ بالمنايا ... تعالي حيّةَ الوادي تعالي

[تتناول الأفعى وتمد لها من صدرها فتلدغها ثم ترميها إلى الستة]

يا ابنتَيْ وُدّي .. هَلمّا زيّناني ... ... للمنيهْ
غلّلاني .. طيّباني .. بالأفاويهِ ... الزكيه
ألبساني حُلةً ... تُعْجِبُ أنطونيو ... سنيه
من ثيابٍ .. كنتُ فيها أتلقاه ... ... صبيه
فاولاني التاج ... تاجَ الشمس .. في مُلْكِ .. البريه
وانثرا .. بين .. يديْ .. عرشي .. الربا ... حين البهيه

[تموت بين وصيفتيها]

شرميون [تتناول من إحدى السلال أفعى] :

كليوبترا ويا لهفي عليكِ يا كليوبترا
وَصيفاتُك في الدنيا وَصيفاتك في الأخرى

[وتمهد لها من صدرها فتلدغها وتموت]

هيلانة [تفعل ما فعلته شرميون] :

كليوبترا ذهبتِ اليو مَ بالدنيا كليوبترا
تعالَيْ أيها الأفعى أريحيني أنا الأخرى

[يدخل أنوبيس وحاني]

أنوبيس :

انسلتِ المهرَةُ من قَيْدها وأفلت الطيرُ من الصائد !

حابي :

هيلانَ ، يا لهفاً على الحبيبهْ على الجمال وعلى الشبيبهْ
على الفتاة الحرّة النجيبهْ

[يتحسس جسمها]

يا لَلحياةِ ماتني دبيبا أبي ، تأمّلْ جسمها الرطيبا
واسمعْ تجدْ لقلبها وجيبا

أنوبيس :

حابي نسيتَ حُقّةَ النجاة!

حابي : هيهاتِ أعصيك أبي هيهاتِ
إن أنسُ أشياءَك أنسَ ذاتي !

[يخرج الحقة من جيبه]

خُذْها

أنوبيس :

بل اسكب في فم الفتاةِ لعلها تصحو من السّباتِ

[يشغل حابي بايقاظ هيلانة]

أنوبيس [على جثة كليوباترا] :

بنتي رجوتُك للضحية والفِدا فوجدتُ عندك فوقَ ما أتراجي

بنتي رجوتك للضحية والفدا فوجدت عندك فوق ما أتاراجي

(صفحة ١٠٨)

إن تُصبحي جسداً فنفسُكِ حرةٌ وعُلاكِ سالمةٌ وعِرضُكِ ناجي
سيقولُ بعدكِ كلُّ جيلٍ مُنصفٍ ذهبتْ ولكن في سبيل التاج

[ثم يلتفت إلى جثة شرميون] :

وأنتِ أيضاً شرميونُ جبيفةٌ متِّ ولكن ميتةٌ شريفةْ
ما أعظمَ المَلَكةَ والوصيفةْ !

حابي : أدنُ أبي أراقِ النظرْ يا لَعجائبِ القدرْ !
انوبيس : أحدث ترياقي الأثرْ ؟
حابي : أنظرْ أبي تِرياقكَ الـ ـمحسن ماذا منحا ؟
أنظرْ فهذا مَلَكي من رقدةِ الموتِ صحا
قد فتح العينيْن بعـ ـد اليأس من أن تُفتَحا
وهذه أنفاسُهُ رَيْحانُها قد نَفَحا
مولاي قد قرّبتَ من سعادتي ما نَزحا
أنت الذي رَددتَها رُوحاً وكانت شَبَحا
يا قلبُ كيف لم تطِرْ عن الضلوع فرحا
هيلانة : يا ويح لي ! ويحَ لِيهْ هل صَدَقتْني عَينِيهْ ؟
حابي ، أفي الدنيا أنا ؟
حابي : بل أنت دنياي هنا

هيلانة : منذا حنى عليه حتى بُعثتُ حيّه ؟

حابي : أبي الذي شفاك يا مَلاكي

أنوبيس : لا بل مَلاكُ الحب قد شفاكِ
وأدمُعُ الإخلاص من فتاكِ

هيلانة : أبي لقد مَرّ عليّ الموتُ وكنتُ من عذابه نَجَوْتُ
علامَ حُلتَ بينه وبيني؟ الموتُ لا يُذاقُ مرّتين

[ترى جثة الملكة وهي تتلفت]

رحماكِ آلهةَ الوادي ذهلتُ فلم أذكر ملاكاً وراء العرش مضطجعا
بالأمس، لا، لا بل اليوم التحقت به صرعتُ بالناقع الساري كما صُرعا
لقد رَحلنا عن الدنيا الغرور معاً مالي رَجعتُ إلى الدنيا وما رجعا
ليت الطبيبَ الذي داوى فأخرجني إلى الحياة على الدنيا به طَلعا
مليكتي، ربتي، صفحاً ومغفرة إن المروءةَ كانت أن نموت معا

الكاهن : بُنيّتي ...

هيلانة : صَهْ أبي،

الكاهن : لا أنتِ واهمةٌ
فلستُ في مُلاقاة الرَّدى شرَعا

وقفتما موقفاً في الخطب مختلفاً لو جرّبتْ فيه غيرَ الموت مانفعا

حابي : تعالي نحْيَ في الحقلِ مع الطير كما نحيا
هَلُمّي الحبّ هيلانـ ـةُ فالحبّ هو الدنيا
أبي دونك بارِكْنا وإن شئتَ فشاركنا

أنوبيس : إذا فارقتُ محرابي فمن يبكي على مِصرا ؟
سأبقى ها هنا ابْنَيّ إلى أن أقضيَ العُمرا
هَلُمّا ابنيّ باسم الإ ـهِ سيرا وابنيا الوكرا
هلما جنةَ الوادي هلما طِيبةَ الغرّا
لئن فرّقنا الدهرُ فقد تجمعُنا الذكرى

[يخرجان]

[يسمع صوت بوق] :

أنوبيس : البوق دوّى قيصرُ أقبلْ

[يدخل حارس]

الحارس : مولاي قيصر

[ينحى عن الباب ويدخل قيصر وفي معيته الطبيب أولمبوس]

انوبيس :

ما يبتغي قيصرُ من اسيرته ؟ إن التي أعدّها لزينته

يَدخل روما وهي في كتيبته تَرِدُ في مَوكبه وقيمته
ماتتْ ولم تنزلْ عن مشيئته بُورك في النيل وفي عَقيلته

قيصر :

آلهةَ الرومان ! ماذا أرى ؟ إمرأةٌ تَسخَرُ من قائدِ
قد أبطلَتْ كيدي على ضعفها ولم تزلْ تَسخَرُ بالكائد
في الجسد الحيّ تمنَّيتُها لم أبغها في الجسد البائد

[يركع قيصر عند جثة كليوباترا]

انوبيس [لنفسه] :

الحادثُ العجيبُ قيصرُ والطبيبُ !
يَغدُرُها وعهدُه ببابها قريبُ

أكتافيو :

عجيبٌ يا طبيبُ أرى قتيلا ولكن لا أرى أثرَ الجِراح!
ألبستْ في الفَناء أرفّ لوناً وأندَى من رياحين الصباحِ
فهل تدنو فتكشف كيف ماتت أبالسم الزّعاف أم السلاح؟

[يقترب أولمبوس وينحني على صدر الملكة من الناحية التي رميت فيها الأفعى]

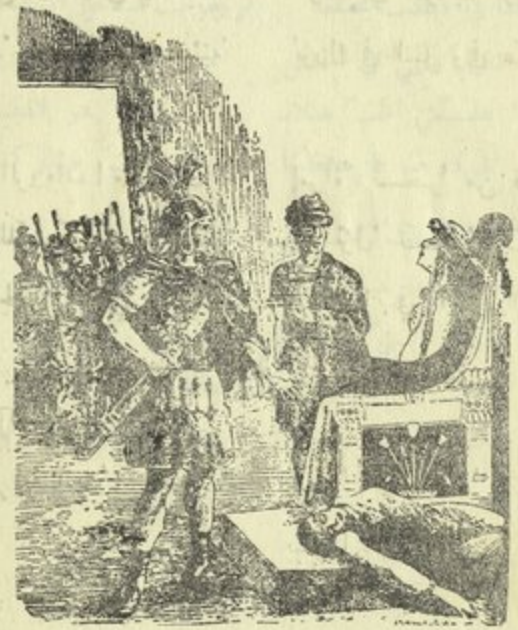

عجيب يا طبيب أرى قتيلًا ولكن لا أرى أثر الجراح!؟

(صفحة ١١٣)

ألبوس :

جبين مُشرقُ الغُرّهْ ووجهٌ ضاحكٌ نَضْرَهْ
وعينان كأن المو ت في جفنَيْهما كَسْرَه
وهذا فمُها تبدو الـ ـحنايا عنه مُفتَرّه
ولكن فيصرُ! دنْ انظرْ هنا السرّ هنا العبره
فبين السّحر والنحر كمثل الحَدَش من إبره
مكانُ الناب من صِلّ شديد البأس والشّرّه

[تلدغه الأفعى]

إلهي ، قيصري ، آه لقد مَسّتْ يدي جمرَهْ
سرى السمّ بأعضائي وعَمّت جسدي فَتْره
وجاءت سَكْرَةُ الموت فلا صَحو ... من السكره

[ثم يسقط ميتا]

أكتافيوس :

ويل النفوس من فجاءات القدرْ !
وويحَ ألبوس بالأفعى عَثَرْ

أنوبيس [لنفسه] :

قد وقع الحافرُ فيما قد حفر

قيصر :

وَداعاً كليوبَترا إلى يوم نلتقي ... وتَنفُضُ عنها الهامدين المقابرُ
محا الموتُ اسبابَ العداوة بيننا ... فلا الثأر ملحاحٌ ولا الحقدُ ثائر
وما استحدثت عند الكرام شمانةٌ ... صُروف المنايا والجُدود العواثر
وَداعاً وإن نحن اقتتلنا وجرّدت ... حسامينا أوطانُنا والعَشائر
تَحدّيتني بالموت حتى قهرتني ... وما لي سلطان على الموت قاهر
ترفّعت عن قَيدي ومُتّ عزيزة ... وأيدي المنايا للقيود كواسر
وأنت التي نازعت روما مكانها ... وجرّت بناديك القيودَ القياصر
لعبتِ بأنطونيو ويوليوسَ حقبة ... كما جاء بالمسحور أو راح ساحر
وما انا إلاّ سيفُ رومةَ باتراً ... أصيبَ به سيفٌ لرومةَ باتر
زَجرتُ فلم أُسمَع فقاتلت مكرهاً ... وفي الحرب إن لم ترتدع السلم زاجر
وأنطونيو صهري الكريم بمثله ... يُطاولُ انسابَ الملوك المُصاهر
وَداعاً عروسَ الشرق كلّ ولاية ... وإن هزّت الدنيا لها الموتُ آخر

[يخرج أكتافيوس وحاشيته وترف التحايا له من الأبواق والحناجر خارج القصر]

أنوبيس :

اكثري أيها الذئاب عُواءً ... وادّعي في البلاد عِزاً وقهرا
أنشِدي واهتِفي وغني وضِجي ... واسبحي في الدماء نابا وظُفرا
لا وإيزيسَ ما تملّكتِ إلا ... وادياً من ضَياغم الغاب قَفرا
قَسَماً ما فتحتُم مصر لكنْ ... قد فتحتُم بها لرومة قبرا

« ستار الختام »

نظـرات تحليلية

كليوباترا والتاريخ :

في عصر من عصور التطوّر السياسي الدائم على عرش مصر ، وفي النصف الأخير من القرن الأوّل قبل الميلاد ، احتكت عظمة الامبراطورية الرومانية بالسياسة المصرية القديمة ، وطوت في هذا الاحتكاك آخر صفحة من تلك المدنية الزاهرة التي اصطبغت بها مصر في ظل البطالسة وتحت حكمهم أكثر من ثلاثة قرون .

وجاء دور المؤرخ ليسجل أنباء هذا الاحتكاك فكان من حظ العلم :

(أوّلا) أن استقى هذا التاريخ مادته من مصدرين كانا كل وسائل التاريخ القديم . فالمصدر الأوّل آثار يعرض لها عادة في مثل هذه العواصف السياسية المضطربة غير قليل من التزييف والضياع . والمصدر الثاني رواة يجتهدون في رواية الحوادث اجتهادا ، فيخطئهم التوفيق أحيانا ، فيروونها لا كما كانت ولكن كما اشتهوا أن تكون .

(ثانيا) أن نهضت بهذه المهمة الخطيرة أقلام ، إما رومانية وإما مدينة لروما هوى أو ثقافة ، فسجلت هذه الأقلام تاريخ هذا الانتقال السياسي في أسلوب قصصي ، فاز فيه قياصرة

الرومان بأكاليل الغار كلها، فالظاهر من بينهم بطل، والمخذول منهم ضحية، وللضعيف على كل ما فعل أو أسف علل قوية من هوى هذه الأقلام في حين أن الملكة المصرية المظلومة — كليوباترا — الممثلة الأخيرة لمجد البطالسة وسلالتهم، والتي سوّى على حساب سمعتها وكرامتها وأفول نجمها هذا الحساب الخطير، لم تصب منه إلا ركاما من التبعات والآثام واللعنات.

ظهرت حية النيل العجوز — كما نعتوها — في هذا التاريخ، وعمدته «بلوتارخوس»، وفي معظم الروايات التي استوحته واستقت من معينه، في مظهر امرأة خطالة متهمة في عفتها من حيث هي امرأة، وفي جلالها وإخلاصها لبلادها من حيث هي ملكة، مجرّد ...

«... أنثى أفنت العمر بالهوى بهيمية اللذات والشهوات»

خاضعة في كل أدوار حياتها السياسية لشهوة مذبذبة، تدفع بها رخيصة إلى كل صاحب مجد أو جاه، متصلة — ما اتصلت في هواها — ببطل، منفصلة — ما انفصلت — عن «حطام مبعثر مستباح» دائبة البحث عن فريسة جديدة تستل آمالها، وتسلبها جلالها، وتهبض من جناحها المحلق في سماء المجد والخلود... وعجيب أن تقفر حياة كهذه الحياة الحافلة بالمآسي إلا من هذا

الركن الدنس ، وعجيب أن لا يرى أولئك القصاص في هذه النفس الطموح ظلا لأمل خير أو حلم نبيل ، وعجيب أن تجثم في كل ناحية من نواحيها رذيلة تهب المداد لهذه الأقلام !

مرمى الرواية :

أليس المؤلف المصري إزاء هذا الاضطهاد الصارخ لهذه الملكة المصرية ، بحكم الثلاثة القرون التي قضاها أجدادها العظماء على ضفاف النيل ، مستقلين عن كل نفوذ أجنبي ، أبرياء إلا من العمل المتصل لمجد مصر ورفاهتها ، مستحيلة دماؤهم قطرة فقطرة إلى دماء مصرية خالصة على توالي الأيام . أليس المؤلف المصري في حل — مادام البحث العلمي يكشف بين الحين والحين في هذا التاريخ المتهم عن حلقات ضائعة أو أوهام أنزلت فيه منزل الحقائق — من إنصاف هذه المصرية المضطهدة ، ولو إلى الحد الذي يتفق مع هيكل هذا التاريخ المجرد ، ولا يحرمها على الأقل من سمو الغاية ونبالة المقصد ؟

أعتقد أنه ليس في حل من هذا الإنصاف فقط ، ولكنه مسئول عنه إلى أن يصل البحث الحديث في تقرير حقيقة التاريخ القديم إلى آخر مداه فيعز من يشاء ويذل من يشاء .

على هـذا الأساس يضع مؤلفنا المصري اليوم في « مصرع كليوباترا » صورتين جديدتين : إحداهما لتاريخ كليوباترا في قليل من التحوير المنطقي المعقـول لتاريخها القـديم ، والأخرى لحياة كليوباترا حريصاً فيها على أن تحاط بنفس الجوّ الظنين الذي يحيطها به رواة التاريخ القديم ، مانحاً إياها الحق الأكبر في الدفاع عن نفسها وعن سياستها وعاطفتهـا ، غـير تارك لسواها من أشخاص الرواية إلا حظاً ضئيلاً من هذا الدفاع ، وهو إذ يمنحها هذا الحق دون سواها من أشخاص الرواية إنما يحرص أوّلاً على أن يترك لأولئك الأشخاص مطلق الحرّية في تجديد هـذا الجوّ الظنين ، وثانياً على ألا يقسو في مس الكرامة العامة للتاريخ ، وثالثاً على أن يترك الباب مفتوحا لتحقيق ما لهذا الدفاع من وجاهة في نظر البحث الحديث المنصف .

كليوباترا في نظر التاريخ القديم :

ولدت كليوباترا سنة ٦٩ قبل الميلاد ، وكانت على أن تبنى بأخيها الأكبر وتتولى العـرش معه ؛ فنوزعت في هذه الشركة ، ففرّت إلى سوريا لتعبئ جيشاً هناك تستعيد به تاجها المفقود . وهناك صادفهـا يوليوس قيصر ، فوقعت من نفسه ، فمكنها من العرش شركة مع أصغر أخويها ، فما لبثت أن قتلته مسموماً وتبعت قيصر إلى روما فاحتفى بها حفاوة أثارت سخط الرومان .

وقتل قيصر فتردّدت كليوباترا أي الصفين تتبع : أصف واتريه أم صف الموتزين فيه ، حتى إذا تم النصر لحلفاء قيصر على قتلته دعاها أنطونيوس إلى طرسوس لتقدم حساباً عن هذا التردّد المقصود، وقد لبت دعوته فسارت اليه في موكب بحري فخم تجلت فيه روعة الشرق وجلاله وغناه ، وكانت يومئذ في الثامنة والثلاثين من عمرها على أبهى ما كانت من سحر وفتنة وجمال ، فما لبث أنطونيوس أن رآها حتى افتتن بها وضحى في سبيلها بمكانه وكبريائه، وأخيراً بملكه ومطامعه وحياته م وقضيا الشتاء التالي في الاسكندرية في غرام نسيا فيه كل شيء ، وعلى أن أنطونيو قد رجع إلى روما وتزوّج من أكتافيا شقيقة أكتافيوس ، فقد عاد إلى كليوباترا وأقام معها وسخا لها ولأبنائها بالعطف والتكريم ، وفي نشوة هذا الجنون كان اسمه يتضاءل في روما ، وكانت قواه السياسية والحربية تخور.

وفي سنة ٣٠ قبل الميلاد اشتبك القيصران في وقعة أكتيوم البحرية ، وكانت كليوباترا بطبيعة الحال تؤازر بأسطولها أسطول أنطونيوس ، ففرّت أثناء المعركة وفرّ في أثرها حبيبها المفتون ، وبذلك كتبت عليهما الهزيمة الأولى ، ثم اشتبك الجيشان في معركة برية على أسوار الاسكندرية ، وكاد النصر في أوّلها يؤاتي أنطونيوس ثم سرعان ما تنكر له وتم عليهما الخذلان الأخير .

وحاولت كليوباترا أن تأسر بجمالها القيصر الظافر ، وأن تفعل به ما فعلت بأنطونيوس ، فاشتركت معه في مفاوضات لصالحها الخاص ، وأرسلت إلى أنطونيوس من أوحى اليه بموتها ، فاتكأ على ظبة سيفه حتى إذا علم في احتضاره كذب هذا الوحي ، أمر أن ينقل اليها حيث جاد تحت شفتيها بالنفس الأخير . وأيقنت كليوباترا بعدئذ ان القيصر الظافر إنما يخدعها عن نفسها ، وإنما يريدها شارة ممتازة في موكب انتصاره ، فانتحرت تاركة وراءها بنتين من أنطونيوس كفلتهما أكتافيا ، وولدا من يوليوس قيصر (قيصرون) قتل في عهد أكتافيوس ، وجسداً هامداً ضمه القبر إلى رفات أنطونيوس ، وذكريات حية خالدة ...

فضن عن الملوك والقوّاد وسرن وحي شاعر وشادي
وفتنة اليراع والمداد

وجوه الاختلاف الأساسي بين الحوادث التاريخية والحوادث الروائية

يهمنا من هذه الحوادث إزاء الرواية ما تناول الأيام الأخيرة من حياة كليوباترا ، تلك الأيام التي لم تتناول الرواية سواها ، فنرى:

(أوّلا) أن فرار كليوباترا من وقعة أكتيوم كان جبناً وغدراً في التاريخ :

ونرى أثر هذه النظرية التاريخية في الرواية حيث يعتب أنطونيوس على كليوباترا :

وقلت انسحبت ضعفا وقال الناس بل غدرا

في حين أن هذا الفرار في الرواية جزء من سياسة كليوباترا – وسوف نبسطها بعد قليل – ويدل على ذلك وعلى روح هذه السياسة قول كليوباترا .

فتأملت حالتي مليا وتدبرت أمر صحوي وسكري
وتبينت أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيري
كنت في عاصف سللت شراعي منه فانسلت البوارج إثري

(ثانياً) أن التاريخ لم يذكر أن جيش كليوباترا فرّ من المعركة البرية بينما سجل المؤلف هذا الفرار في الرواية تمشياً مع السياسة التي اختطتها كليوباترا لنفسها ، وفي ذلك يقول أنطونيوس :

أسطولها إلى مراسيه أوى وجيشها ألقى السلاح ونجا

(ثالثا) أن كليوباترا هي المسئولة امام التاريخ عن انتحار أنطونيوس بينما يبرئها المؤلف من هذه التهمة ، ويخلق شخصية خيالية يلقي عليها هذه التبعة ، هي شخصية الطبيب أولمبوس ، ونرى ذلك حيث تتساءل كليوباترا في لوعة ولهفة :

من نعاني كذبا من قالها لك

وإذ يجيبها أنطونيوس :

« أولمبوس النذل الحزون »

وحيث نسمع أولمبوس في الفصل الثاني من الرواية مهدّدا ناقما :

أوروس أنطونيوس حسابكما غدا روما الأبيـة لم تنم عن ثارها

وحيث نلمس مكمن الحيلة بين هذه النقمة وذلك الانتقام .

(رابعاً) حاولت كليوباترا تاريخياً أن تتصبى عدوها الظافر ، وأن تغدر حبيبها المخذول ، ثم انتحرت عندما فشلت هذه السياسة ، والمؤلف ينزهها عن هذا الإسفاف ، ويجعل أوّل لقائها لأوكتافيوس وأوّل اتصاله بها عقب مصرع أنطونيوس ، ثم يجعل من هـذا الاتصال مفاوضات ، ويجعـل في هـذه المفاوضات خداعا من قيصر وإباء من كليوباترا ، فلا تصبي ولا محاولة إيقاع في غرام ، ثم يجعل انتحارها حرصا على تاج مصر أن يذله العرض في روما من ناحية ، وذلك إذ تقول :

سطب روما على ملكي ... ...

فرمت الموت لم أجبن ولكن لعل جلاله يحمي جلالي

فـلاتمشي على تاجي ولكن على جسد يبطن الأرض بالي

ووفاء لأنطونيوس من ناحية أخرى وذلك إذ تقول :

أيهـا الذاهب قد آ ن عن الدنيا ذهوبي

أيها الخالص ودّا ليس ودّي بالمشوب

... ...

عن قريب ينطوي القبر علينا عن قريب

صورة تحليلية لأهم أشخاص الرواية

كليوباترا

ما فتىء المؤلف منذ مطلع الرواية إلى مقطعها يؤكد جنسية كليوباترا المصرية وإن تحدّرت من نبعة أجنبية ، فقد كان الزمن الطويل الذي قضاه أجدادها في مصر — كما أسلفنا — كافيا لتمصيرها .

وعبث أن نختار من الرواية قطعة دون اخرى لإثبات هذه الجنسية ، فالرواية كلها دليل متصل ، نسجل منه على سبيل المثل قولها :

أموت كما حييت لعرش مصر وأبذل دونه عرش الجمال

وقولها :

موقف يعجب العلا كنت فيه بنت مصر وكنت ملكة مصر

ثم قولا آخر احتال فيه المؤلف على تبرير هذه الجنسية ، متحاشياً في هذا التبرير إلا مجرّد التلميح من بعيد لدمها القديم ، وذلك إذ يقول حابي لزينون :

أخي هـذا أتيني وخلي ذاك مقدوني

... ...

كلا الخلين ذو جدّ بأرض النيل مدفون

فليسا في هوى مصر وفي طاعتهـا دوني

وتصوّر الرواية كليوباترا من نواح ثلاث يستحسن أن نبحثها منفصلة : الأولى من حيث هي امرأة ، والثانيـة من حيث هي ملكة ، والثالثة من حيث هي شخص سياسي :

كليوباترا امرأة

(١) جميـلة :

وأمام جمالها يتمنى زينون رأسين :

يطأطىء رأسا لمجـد النبـو غ ويخفض رأسا لمجد الجمال

ويناجيها أنطونيوس قائلا :

ردّي على هامتي الغار التي سلبت فقبلة منـك تعلوها هي الغار

ويذكرها وهو يودع الدنيا :

لمـا لقيتك في الجمال وعزه قهرت قواي الظافرات قواك

وفي احتضاره يهتف بها :

كليوباترا زوديني قبـلة من ثناياك العذاب الشهيات

وهيلانة تتحدّث عنها :

لم يحـو شمسين الفلك

وأنوبيس يلقبها :

شعاع المدائن نور القرى

وحبرا ينبهر أمام كفها ...

عجب عيني لا تقـ ـوى على هذا الضياء
هـذه كف إله جاء في زي النسـاء

ورسول اكتافيوس قيصر يعجب لمولاه كيف :

... لا يلبي دعوة الحسن طائعا ... ...
وقد كان يوليوس يقوم ببابه ويمثل أنطونوس في العتبات

(ب) قوية الثقة بجمالها :

وبوحي من هذه الثقة تناجي بالاسكندرية قائلة :

وأنا المهاة وقد ملأتك قاعا

وتصف عشاقها قائلة :

يموتون بي عشقا ويشقون بالهوى فكم من حياة في يدي ومماتي

وحينما تفكر بالانتحار لم يكن يشغلها من الدنيا شاغل إلا أن تحتفظ في موتها بهذا الجمال ويبدو ذلك أوّلا في الحوار بينها وبين أنوبيس :

« ولكن أبي هل يصان الجمال » ؟ « وهل يطفأ اللون » ؟ « وهل يبطل الموت سحر الجفون » ؟

وثانياً عندما تناجي شبح الموت :

ياموت لا تطفىء بشاشة هيكلي واحفظ ظواهر لحمتي وجلالي

... ...

حتى أموت كما حييت كأنني بيت الخيال ودمية المثال

وتتحدّث عن الحياة فتقول :

إني انتفعت بعبقري جمالها وتمتعت من عبقري جمالي

(ج) قوية البيان :

قوية يمثلها حابي حيث يقول :

ليسياس إنك قد سمعت حديثها كالسحر في الآذان حين يدار

تبدو الخيانة فيه وهي أمانة ويرى الثبات عليه وهو فرار

(د) شاعرة :

وفي ذلك يقول لها أنطونيوس :

وقولي الشعر علويا

ويقول للمغني إياس :

غنني شعر ملاكي غنني شعر الإله

ولها في الرواية نشيدان : « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا »
و « يا طيب وادي العدم » .

(هـ) ولوع بالقراءة :

وفي ذلك يقول زينون :

... ... تنسى ملكها بلقاء الكتب أو تنسى هواها

وقد رأينا أن لها في قصرها مكتبة .

(و) الأمومة لديها كالغرام — وسوف نتحدّث عنه في موضعه — عاطفة ثانية إذا كان حب المجد وإباء الضيم فيه عاطفتها الأولى :

وقد اشتهي عيش الذليل لأجلهم فلا المجد يرضي لي ولا النبل يسمح

(ز) عفة الهوى :

وقد تروّع القارىء هذه الحقيقة لأوّل وهلة ، إزاء سلسلة التهم القاسية التي وصمت بها كليوباترا في الرواية كما يبدو من هذه الأمثلة :

(١) هتفوا لمن شرب الطلا في تاجهم وأصار عرشهم فراش غرام

(٢) أترضى أن يكون سرير مصر قوائمه الدعارة والبغاء ؟

(٣) قد اجترأت على روما البغي

(٤) صرح أبن قل غدرت قل جدّدت بقيصر الثالث دولة الهوى

(٥) ... ... أفنت العمر بالهوى بهيمية اللذات والشهوات

لكن قليلاً من التفكير يردّه إلى وجه الصواب فالتهمة الثانية قد رماها بها حابي الذي كان يراها عن بعد في ضوء الاشاعة السائرة ، والذي لم يلبث أن نزل عن بعد رأيه فيها حينما عرفها عن كثب ، فعاد يعدها « أبر الممالكات » و « أشرف الناس إحساساً ووجداناً » و « لا يقيس بها في الطهر إنساناً » . والتهمة الأولى قد وجهت اليها من شاب كان يشترك وحابي في نظرته الأولى اليها ، لكنه لم يقترب منها ليرى ما رآه حابي في النهاية . والتهمة الثالثة موجهة اليها من قائد روماني غاضب لكرامة بلاده ، أي من خصم سياسي موتور . والتهمة الرابعة صاحبها أنطونيوس ، رماها بها ظلماً في ساعة يأس ، ثم كفر عنها بانتحاره ، وسوف نتحدث عن وفائها له بعد قليل . والتهمة الأخيرة إنما تجمع فيها كليوباترا خلاصة ما يقال فيها وفي هواها ثم تدفعه في قولها :

فداً لغرامي بالرجال وحسنهم ... غرام الغواني أو هوى الملكات
فليس الغلام البارع الحسن فتنتي ... ولا الرائع الأجلاد والعضلات
... ...
ولكن عشقت العبقرية طفلة ... وفي الغافلات البله من سنواتي

وفي قولها والضمير للحياة :

ووجدتها قد خلدت أبطالها ... فبسطت سلطاني على الأبطال

(ح) وفية لغرامها مخلصة فيه إلا حيث يصطدم هذا الغرام بوطنيتها .

فأما وفاؤها لغرامها وإخلاصها فيه فموقفها من أنطونيوس جريحاً وميتاً وبعد أن لم يعد يرجى منه خير ولا أمل ، وذكرها له وهي مشرفة على الموت حيث تنادي الموت قائلة :

سر بي إلى أنطونيو في نضرتي ورواء جلبابي وزينة حالي

وحيث تنادي وصيفتيها قائلة :

ألبساني حلة تعجب انطونيو سنيه

كل ذلك آيات على هذا الوفاء والاخلاص .

وأما تضحيتها بغرامها لسياستها فعلى الرغم من أقوالها « أنا أنطونيو وأنطونيو انا » و « الحياة الحب والحب الحياة » ونحن قرّبنا له — أي للحب — ملك الثرى » و

هو اعطى الحب تاجي قيصر لم لا أعطي الهوى تاجي منا

على الرغم من هذه العاطفة القوية التي اظهرتها كليوباترا دائماً في مواجهة أنطونيوس ، والتي لم يؤيدها الأمر الواقع ، والتي إن دلت على شيء ، فعلى أن كليوباترا كانت ككل امرأة سواها ...

(ط) — بداخلها في حضرة حبيبها أثر المبالغة وروح الرياء ولعلها تعتذر عن ذلك إذ تقول والضمير للحياة :

بلت الحياة أنا ... ...
عنها تناولت الرياء وراثة وأخذت كل خديعة ومحال

نعود فنقول على الرغم من كل هذا إن غرام كليوباترا – كما سوف نرى حينما نعرض لسياستها – ما تعارض يوماً مع هذه السياسة ومع ما كانت تكفل به التاج المصري من حب ورعاية ، إلا خرّ هذا الغرام صريعاً .

بقيت نقطة أخيرة تتصل بهذا الهوى ، وتلك أن كليوباترا كانت في ساعات لهوها ...

(ي) تفنن في هذا اللهو وتستمتع به وتنسى ما سواه .

وحسبنا في الإشارة إلى ذلك قولها :

فاطو معي حوادث الـ أمس ولا تجدّد
وامض معي في لذة الـ يوم ودع هم الغد

وقولها :

لتكونن ليلة آخر الدهر تذكر
لا نبالي إذا صفت بعدها ما يكدّر

على أنها كانت تستظل في هذا الاستمتاع بظل من الوقار يتبارى مع خلاعة الاغراق فيه ، تلك الخلاعة التي كانت سمة العصر

المترف المستهتر التي عاشت فيه ، والتي نكتفي من إثباتها بالإشارة (أولا) إلى قول القائل :

هلا نظرت إلى الأميرة إنها سكرى تعثر في خليع عذرها

(ثانياً) إلى انضاعها في وليمتها حيث تترك يدها في يسر لتكون نهباً بشفاه عرّاف صغير .

أما الظل الوقور الذي كانت تستظل به في هذه الساعات اللاهية والذي يبدو في قولها :

اجعلوها وليمة وبساطاً يتبارى خلاعة ووقارا

فلعلها استمدّته من قبس ديني ما فتئ يتردّد على نفسها بين الحين والحين . وتبدو ...

(ك) مستمسكة بدينها إذ تهتف بأنوبيس في موضع :

صل من أجلي ولا تذ ـس صغاري في صلاتك

وفي موضع آخر :

هذا مقام صلاتي وهيكلي للضراعه
ولي خطايا كثير لا تبرح البال ساعه
فادخل وصل لأجلي فمنك ترجى الشفاعه

وفي موضع ثالث :

ابي دخلت نفسي حيرى الزمام حزينه

وقد تركت المصلى وملء قلبي سكينه
إن الصلاة على شدّ الزمان معينه

وبين هذه العفة والوقار من جانب ، وهذه المتعة والخلاعة من جانب آخر جهرت كليوباترا بهذا الاعتراف والضمير للحياة :

ولربما رشدت فسرت برشدها وغوت فأغوتني وضل ضلالي

ووصفها أنوبيس بأنها كشعاع الضحى :

يخوض الوحل ويغشى الحلى ويأوي الحضيض ويعلو الذرا

ولكنه طاهر حيث طاف نقي الذيول عفيف الخطا

كليوباترا ملكة

(ا) قوية الشخصية :

وأظهر ما تبدو هذه القوّة في اربع مواضع . (الأوّل) حينما تدخل على زينون بعد أن لعنها وتآمر عليها فلا يكاد يسمع تحيتها حتى يردّها قائلا :

سلام السماوات في مجدها على ربة التاج ذات الجلال

(الثاني) حيث يقول أوروس :

لولا الوليمة والشراب وحرمة لأميرة الوادي السعيد ودارها

(الثالث) حيث يقول انطونيوس :

أخرجت أمري واختياري من يدي وتركتني نفساً بغير ملاك

(الرابع) حيث يؤبنها أكتافيوس :

لعبت بأنطونيو وبوليوس حقبة كما جاء بالمسحور أو راح ساحر

بيد أن هذه القوّة كانت تظهر احياناً كأنها مشوبة بضعف ، لكنه ضعف مصطنع ترى فيه المرأة دائماً سلاحاً من اسلحة قوّتها . فهي حينما تنادي انطونيوس :

مكانك قيصر لا تذهبن ولا تبرح القصر أهلك اسى

إنما تجرّب قوّة دلالها ، وقد أفلحت في هذه التجربة ورأينا كيف استنهضت بهذا الدلال من حماسة انطونيوس ، وكذلك عندما تقول لأوكتافيوس :

فخذه من يد الموت ومن عاجزة تبكي

فقد كان ذلك منها تهكماً بتهكم ، وقد رأينا كيف وقفت بعد ذلك وقفتها في إبائها وكبريائها الأعزل ، فاضطرت القيصر المنتصر أن ينتقل في خطابها من سخرية إلى احترام .

وفي ذلك تقول هي :

فإن تك بي خشية في النساء فلي جرأة الملكات الكبر

ويقول أكتافيوس :

قد أبطلت كيدي على ضعفها ولم تزل تسخر بالكائد

(ب) مصلحة :

وفي ذلك تناجي الاسكندرية قائلة :

وشيت برك جدولا وخميلة وكسوت بحرك عدّة وشراعا
وأنا اللباة وقد ملأتك غابة وأنا المهاة وقد ملأتك قاعا
قد خفت من بعدي عليك بمالكا يطلقن فيك الفاتحين سباعا

(ج) فخور :

ويبدو هذا الفخر على أشده حينما تجعل نفسها « ضرة روما » إذ تقول :

اليوم تعلم روما أن ضرتها تقلد الغار من تهوى وتختار

وحينما تقول لحابي :

دع الذود عن مصر لي إنني أنا السيف والآخرون العصا

وحينما تقول :

وقد علم البرية أن تاجي تمته الشمس والأسر العوالي

وحينما تخاطب الاسكندرية قائلة :

« وأنا اللباة وقد ملأتك غابة »

وحينما تسأل العرّاف :

أحضيض يومي الآ خر قل لي أم سماء
خاتم الأيام أو لى باهتمام العظماء

(د) أبية :

وآية ذلك قولها لأنوبيس :

أبي لا العزل خفت ولا المنايا ولكن أن يسيروا بي سبيا

وقولها في وداع حياتها :

أأدخل في ثياب الذل روما ... ...
... ...
إذن غير الملوك أبي وجدّي وغير طرازهم عمي وخالي

وقولها في وداع صغارها :

وقد أشتهي عيش الذليل لأجلهم فلا المجد يرضى لي ولا النبل يسمح

وفي تأبين أكتافيوس لها :

ترفعت عن قيدي ومت عزيزة

(ه) تتألف خصومها :

واحتيالها في اجتذاب حابي اليها عن سبيل حبه لهيلانة خير دليل .

(و) عطوف على اتباعها :

تقول لوصيفتها :

أنت لي خادم ولكن كأنا في الملمات أهل قربى وصهر

وتقول لها وصيفتها :

يا رب ذنب ... ... يتعب العذر فيه مهدت عذري

وقد اكسبها هذا العطف تفانياً في حبها من اولئك الأتباع .

فانظر إلى هيلانة إذ تقول :

إن التي شب في نعمائها ونبهت لي في سلطانها شانا

إن لم أمت دونها أو لم أمت معها فما جزيت عن الاحسان إحسانا

وإذ تقول على جثتها :

ليت الطبيب الذي داوى فأخرجني إلى الحياة على الدنيا به طلعا

وإذ يصل هذا التفاني إلى حدّ التضحية بالحياة ، وإذ يتجلى الحزن الشامل على القصر ومن فيه في الساعة التي أفل فيها نجم كليوباترا وأشرفت على مفارقة الحياة ، أنظر إلى كل هذا تجد أن أولئك الأتباع وجدوا في ظل كليوباترا العطف والرفق والاحسان .

(ز) غفور :

ويبدو ذلك في قولها لحابي :

فمثلك تاب ومثلي عفا

(ح) جليد :

ونرى أثر هذا الجلد في قولها :

يا ويح صحبي بعد طول سرورهم قعدوا إلى أحزانهم يبكونا
جيئي بهم يا شرميون لينظروا جلدي فيهدأ بعض ما يجدونا

(ط) تكره التملق :

وفي ذلك تقول لحبرا :

خلني من زخرف المد ح ومن زور الثنا.

سياسة كليوباترا

تقول كليوباترا لأوروس :

الحرب فتك أورو س والسياسة في

فهل هذا صحيح :

لقد كانت كليوباترا بعيدة النظر حينما عتبت على أنطونيوس عقب انتصاره في اليوم الأوّل من يومي المعركة البرية على أسوار الاسكندرية أن ترك خصمه من غير أن يضربه الضربة القاضية بعد أن اقتحم عليه مضاربه ...

تركتهم لغد؟ هذي مجازفة غد غيوب وأسرار واقدار

وقد اثبتت هزيمة أنطونيوس في اليوم التالي بعد هذا النظر .

وكانت كليوباترا بعيدة النظر كذلك حينما استشفت من خلال ذلك العرض المعسول الذي عرضه عليها أكتافيوس :

ولها الوادي وما يحـ ـمل ملكا ورعيـه
وبنوها يرثون الملـ ـك من روما الوصيه
وإذا حلت بروما وجدت روما حفيه

شبح الحيلة والخداع ، فكادت له كيداً اضطره أن يقف أمام جثتها موقف المنهزم يقول :

قد ابطلت كيدي على ضعفها ... ...
في الجسد الحي تمنيتها لم أبغها في الجسد البائد

هذا من ناحية أخرى فقد اختطت كليوباترا لنفسها سياسة خاصة في هذه الرواية ، وقد ظلت امينة على تنفيذها حتى النهاية ، وقد فشلت في هذه السياسة فشلاً افقدها حبها وتاجها وحياتها ، وافقد مصر ما كان لها من شبه حرية واستقلال .

ونعرض الآن هذه السياسة ثم نتناولها بالبحث لنرى مواطن ضعفها وكيف انتهت إلى هذا المصير .

وكانت كليوباترا أسيرة عواطف ثلاث :

(الأولى) حبها لمصر وحرصها على مستقبل تاجها . وقد رأينا ان الرواية ملأى بدلائل هذا الحب والحرص حينما تكلمنا عن جنسية كليوباترا .

(الثانية) حبها لأنطونيوس . ومن العبث أن نستشهد على هذا الحب بنجواها الغرامية المتصلة وحدها كلما جمع المجال بينها وبين انطونيوس ، فلقد تتهم هذه النجوى بشيء من المبالغة والرياء ، وخير أن نقصر هذا الاستشهاد على حديثها عنه في غيبته ، إذ تقول :

علم الله قد خذلت حبيبي

وإذ تقول في موقف آخر :

هو انطونيوس ذخري وطـــريفي وتليـدي

وعلى الوفاء له بعد موته ، وقد اسلفنا عليه الدليل ، ومهما يكن من انقاد هذه العاطفة في قلبها فقد كانت لديها كما قلنا عاطفة ثانوية ، كلما تعارضت مع حبها لمصر ، ففي سبيل وطنها كانت مستعدة للتضحية بكل شيء ، وكانت تعتقد حقيقة أن :

المجد لا يسأل عن صاحبة ولا ولد

وكانت مخلصة حينما استنهضت حماسة أنطونيوس بهذه الكلمة الجامعة :

عد ظافراً أو لا تعد

وآية استعدادها للتضحية بغرامها في سبيل سياسة بلادها قولها عقب فرارها من أكتيوم :

علم الله قد خذلت حبيبي وأبا صبيتي وعوني وذخري
والذي ضيع العروش وضحى في سبيلي بألف قطر وقطر
موقف يعجب العلا كنت فيه بنت مصر وكنت ملكة مصر

(الثالثة) بغضها لروما وإشفاقها من طغيان سلطانها المكين .

ويبدو هذا البغض في عدّة مواضع . منها قولها :

لا تسيروا على ولائم روما سرفاً في الفسوق واستهتارا

ومنها قول أحد القواد الرومان لزميل له :

أتسمع ما تقول عدوّ روما ؟

وقولها :

دعوا روما ولا تجروا لها ذكرا

وقولها :

حبرا أعندك سحر يشل طاغوت روما ؟
ويجعل الناس فيها حجارة ورسوما

وقولها في موقف مفاضلة بين ألوان الشراب :

دنان مصر لا دنان الروم

ثم شعور الناس جميعاً — حتى خصومها — بذلك البغض ، وفي ذلك يقول حابي لزينون قبل أن ينزل عن رأيه فيها :

ولم يبق على الود لروما غير زينون

وإشباعاً لهذه العواطف جميعاً رسمت كليوباترا لنفسها ثلاث غايات :

(الأولى) أن تستخلص الشرق لنفسها مستقلاً عن كل نفوذ .

(الثانية) أن تضعف قوى روما ما استطاعت مع المحافظة على قواها هي .

(الثالثة) أن تعكس الآية السياسية الموجودة يومئذ ، فتسود روما من خلال سيادة قيصر ضعيف تضمن أن يخضع لفتنة جمالها دائماً ، كما تضمن أن يخشى قوة بأسها ثانياً ، وكل هذه الشروط كانت تجتمع في أنطونيوس . وتحمل كليوباترا غايتها الأولى والثالثة في قولها لأنطونيوس :

أنت لروما في غد وقيصرون بعد غد
والشرق سلطاني الذي إكليله لي انعقد

ثم تبسط غايتها الثالثة إذ تقول :

قلت روما تصدّعت فتوى شطـ ـرا من القوم في عداوة شطر

... ...

وتبينت أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيري

والوسيلة التي ظنتها كليوباترا كفيلة بتحقيق هذه الغايات، أن تقف من القيصرين المتحاربين موقف الحياد، فقد كانت تؤمن بتكافؤ قواهما الحربية، لأنهما « تقاسما الفلك والجيش » وبات كلاهما :

... ... شطـ ـرا من القوم في عداوة شطر

وقد أثبت تداول النصر بينهما قبل المعركة الفاصلة صدق هذا اليقين . وقدّرت كليوباترا أن حيادها هذا يكفل لها الاحتفاظ بقواها في البر والبحر، بينما ينهك القتال قوى القيصرين — المنتصر منهما والمخذول — حتى إذا قرت الحرب بينهما ظهرت بجيشهـا واسطولهـا، لتجهز على أكتافيوس — إذا ظفر — وهو متعب منهوك، ولتحيّي أنطونيوس — إذا كان هو الظافر — تحية القوي للضعيف، لا تحية التابع للمتبوع . لكن الحياد الصريح كان معناه المحتوم أن تفقد أنطونيوس، وأن تفقد كل أمل في هواه، وأن ينهار بفقدان هذا الأمل صرح أمانيها جميعاً، فاصطنعت كليوباترا

لنفسها حياداً مقنعاً تتظاهر فيه بالقيام بنصيبها من أعباء الحرب إلى جانب أنطونيوس ، حتى إذا نشبت المعركة فرّت بجيشها أو أسطولها ، تاركة لفرار انطونيوس القوي مهمة التماس الاعذار لضعفها وفرارها من حومة القتال ، ناطقاً عن لسانه :

فقلت انسحبت ضعفاً وقال الناس بل غدرا
ولو كان لهم قلب كقلبي التمسوا العذرا

ومهمة أخرى هي إلقاء تبعة الغدر والخيانة على من يشاء من قوّادها :

فياقائدالأسطول هل من مكيدة تدبر لي خلف الشراع وما أدري؟

وما من شك انها مهمات يسيرة ، إزاء مهمة الاعتذار لخيانتها السافرة لو انها وقفت منه موقف الحياد الصريح ! وما من شك كذلك ان هذه المهمات قد اداها غرام انطونيوس بنجاح فقد عفى عن ضعف حبيبته مرتين ومات راضياً عنها كل الرضاء .

ونستطيع استخلاص هذه الخطة التي اتخذتها كليوباترا من اربعة مواضيع :

(الأول) في موقف كليوباترا من حاشيتها بعد وقعة أكتيوم، تبرر فرارها في هذه الأبيات :

قلت روما تصدعت فترى شط ـرا من القوم في عداوة شطر

بطلاها تقاسما الفلك والجيـ ـش وشبا الوغى ببحر وبر
فتأملت حالتي مليـاً وتدبرت أمر صحوي وسكري
وتبينت أن روما إذا زا لت عن البحر لم يسد فيه غيري
كنت في عاصف سللت شراعي منه فانسلت البوارج إثري
خلصت من رحى القتال ومما يلحق السفن من دمار وأمر

(الثاني) في قول أنطونيوس :

أسطولها إلى مراسيه أوى وجيشها ألقى السلاح ونجا

ولقد يلقى قول كليوباترا في استقبال أنطونيوس على أثر عودته ظافراً في اليوم الأوّل من يومي المعركة البرية :

هو والله نشيدي والمغنون جنودي
والمخاريق التي تخـ ـفق من بعد بنودي

لقد يلقى هذا القول ظلّا من الشك على مسايرة خطة الانسحاب من المعركة لسياق الرواية ، يعززه أن انطونيوس لم يأخذ عليها فرارها من هذه المعركة كما أخذ عليها فرارها من أكتيوم ، لكن هذا الظل المريب يتضاءل ويفنى حينما نعلم أوّلا ان كليوباترا لم تشترك في هذه المعركة بتاتا ، فقد « آلى واقسم » انطونيوس :

... ... لا يرى في قصرها حتى يقوم مجده المنهار

وظل في حنقه وغضبه منها « بأقرب ثكنة » من الاسكندرية يدعو من الرومان — وحدهم من يختار :

ويعدّ أهبته ليـوم حاسم في البر يغسل عنه فيه العار

وحينما نتمشى ثانياً مع قول كليوباترا قليلا ، فنسمعها في فرحها بعودته تقول :

ولديهـا فارس ملـ ـتثم شاكي الحـديد
هو انطونيوس ذخري وطربفي وتليـدي

فهي لم تفرق بين جنود انطونيوس واعلامه ، وبين جنودها هي واعلامها ، ولكن ذكرت نوعاً واحداً من الجنود والأعلام والأناشيد ، وقالت هم جنودي واعلامي واناشيدي ، لأنها في غرورها الفخور وفي ثقتها بجمالها وحب أنطونيوس لها وحبها لأنطونيوس ، كانت تعتقد ما قالت « أنا أنطونيو وأنطونيو أنا » ، وترى على هذا أن كل ماله إنما هو ملك لها ، وكان أنطونيوس بدوره يتناسى في انتصاره عتبه الأوّل ، ويتناسى في غرامه أناشيد روما واعلامها ، ويتخذ أناشيد مصر واعلامها ، ويترك أسطوله « يعب تحت هذه الأعلام » ، وجيشه يتغنى بهـذه الأناشيد ، وفاء لهـا بما اخذه لها على نفسه ، انه « مصري » وأنه « تابعها الوفي » وأنه ما في سوى رضاها له مضي .

(الثالث) قولها لأنوبيس :

وجيش الحليف وجيش العدوّ بظهر المدينة شبا الوغى
أما جيشها هي فسياستها تعلم أين كان !

(الرابع) قولها لأنوبيس كذلك :

أبي أعلمت أن الجيش ولى وأن بوارجي أبت المضيا ؟

فكليوباترا هنا تشكو من أن بوارجها أبت المضي ، لكن متى حدث هذا الإباء ؟ هل كان ذلك في معركة أكتيوم ؟ طبعاً لا .. لأنه لو كان ذلك كذلك لما كان هناك سبيل لشكاة كليوباترا من أمر هي صاحبة الرأي فيه ، ولما كان هناك سبيل للتعبير عن فرار الأسطول يومئذ بأنـــه « إباء » أي تمرّد ، وهي الامرة بالفرار وأسطولها لم يعد أن سمع وأطاع ، ولما كانت هناك فائدة في إخبار أنوبيس بنبأ قد عرفه منذ حين ... إذن لا بد أن هذه البوارج قد أبت المضي إلى الحرب بعد هزيمة أنطونيوس الأخيرة ، وقد يبدو — وإن كان ذلك في شيء من الغموض — ان كليوباترا تنفيذاً لما بسطنا من خطتها أرادت أن تضرب أكتافيوس عقب انتصاره كما قدّرت ، فأهابت بأسطولها أن يمضي فأبى هذا المضي ، وأهابت بجيشها ان يمضي فولى الأدبار ... اعتاد كلاهما لذة الدعة وراحة الفرار ، ومن هذه العادة جنت كليوباترا ما غرست فيهما من بذور

الضعف والخور ، وتحطمت خطتها وسياستها عـــلى صخرة عاتية وقفت لديها تعض بنانها ندماً وتقول :

ايها العين أبصري إنما كنت في حلم

مواطن الضعف في هذه السياسة

(أوّلا) أخذ أنوبيس على هذه السياسة بصفة عامة أن كليوباترا كان يجب أن تخلص في عون انطونيوس ، فيكون الأمل في الظفر أقوى ، وذلك حيث يقول :

تركتم انطـونيو س وحده يلقى العدا
من أجلـكم سل الحسا م وإلى الحرب مشى
ما كان ضركم لو التـ ـفتم عـلى الهـوا

لكن حسن الظن في كليوباترا قد يستطيع الاعتذار لها بأنهـا كانت تريد إلى جانبها قيصراً ضعيفاً يمكن أن يرث عنه القيصرية ولدها قيصرون ، لا قيصراً قوياً قد تفقد سلطانها عليه إذا تعرض غرامه للذبول .

(ثانيـا) قدّرت كليوباترا أن يظل انطونيوس في المعركة بعد فرارها فخانها التقدير ، وفرّ في أثرها انطونيوس :

لم تأت حتى جاء في آثارها للحب اجنحة بهن يطار

(ثالثا) لم تقدّر ما يحدثه فرارها من الضعف المعنوي في جيش أنطونيوس، وآية هذا الضعف قول أوروس لمولاه :

وخلفت في عسكر كالنعاج كثير الثغاء قليل الغنا
فمن يائس مات قبل القتال ومن خائن فرّ قبل اللقا

(رابعا) صراحتها الطائشة في إعلان بغضها لروما أمام الرومان، واضطرارها أنطونيوس أن يظهر بهذا المظهر كذلك أمام قوّاده، مما أحنق أولئك القوّاد وجعلهم يقولون :

سنلبث ساعة نحتال حتى إذا سلت عقولهم انسللنا
فما المتدله السكير أهلا لتنصره السيوف إذا استللنا

ونرى أثر هذا الحنق حينما يقول انطونيوس :

جنود أكتاف أدركوني يا ليتني مت قبل هذا

فيجيبه جندي روماني :

لا بل جنودك لكن خانوك حباً لروما

(خامساً) عدم اتعاظها بضعف سياستها بعد معركة اكتيوم، وتكرار الانسحاب وتكرار المزائم .

(سادساً) اعتمادها على جيش واسطول علمتها الهرب من ساحة القتال، وقصارى ما نستطيع ان نقول في سياسة كليوباترا

إن عينها كانت ترى ما وراء الأفق وتعمى عما تحت أنفها من عثرات ، وإن هذه السياسة ليست المسئول الوحيدعن هذه الكارثة التي انتهت بها حياة كليوباترا ولكن هناك مسؤولا آخر هو الضعف النفسي الذي تحكم يومئذ في انطونيوس .

***

ولعل خير إطار تحلى به هذه الصورة الجامعة المتسقة الألوان لحياة هذه الملكة هو تأبين أنوبيس لها :

بنـتي رجوتك للضحية والفدا فوجدت عندك فوق ما انا راجي
إن تصبحي جسداً فنفسك حرة وعلاك سالمة وعرضك ناجي
سيقول بعدك كل جبل منصف ذهبت ولكن في سبيل التاج

أنطونيوس يحاب لليوباترا

رسم المؤلف صورتين لأنطونيوس الجندي في هذه الرواية :

(الأولى) صورته قبل أن يتصل بكليوباترا ايام ان كان يضحي بالهوى في سبيل المجد .

(الثانية) صورة انطونيوس بعد ان عرف كليوباترا واصبح يضحي بالمجد في سبيل الهوى .

ونرى الصورة الأولى حينما يذكر انطونيوس – وهو مشرف على الموت – أيام صباه فيقول :

وأيام يدعوني الهوى فأجيبه ... وينفخ في البوق المنادي فانبرى
فتنت الغواني برهة وفتنني ... ولكنني عن سؤدد لم أقصر
فهمة قلبي في شراب وصبوة ... وهمة نفسي في علاء ومفخر
أروس توافقنا على كل غمرة ... وكل مجال ثائر النقع اكدر
وفي مهرجان الفاتحين وعرسهم ... وتحت لواء أو على عود منبر

فنراه من خلال هذه الصورة ، شجاعاً ، ظافراً ، خطيباً يشبع عاطفته ولكن إلى الحدّ الذي لا يقف به في سبيل المجد عن غاية .

ونرى الصورة الثانية حيث يفرّ أنطونيوس من معركة اكتيوم وفي ذلك يقول حابي :

لم تأت حتى جاء في آثارها ... للحب أجنحة بهنّ يطار

وإذ يخرج به الهوى من معركة لو استمرّ فيها لكتب له النصر الأخير ، وذلك إذ يقول لكليوباترا عقب انتصاره المؤقت :

ومالت الشمس أو كادت فراجعني ... شوق اليك عديم الدار سوار
حتى رجعت ولو أني طردتهم ... لبات اكتاف عندي وانقضى الثار

وإذ ينسى بلاده ووطنيته وجنسيته في حب كليوباترا فتستطيع أن تقول :

... ... دعوا روما ولا تجروا لها ذكرا
فما أنطونيو منها وإن كان ابنها البكرا
ولكن تحت أعلامي يقود البر والبحرا

فيسأله قائد من قوّاده :

أحق مارك انطونيو س من رومية تبرا ؟

فيجيبه :

أجل اتبع مولاتي ولا أعصي لها أمرا

وإذ تستطيع أن تقول :

أنطونيو ما انت روماني ألم تقل إنك لي جندي

فيجيبها :

أجل وزدت أنني مصري وأنني تابعك الوفي
ما في سوى رضاك لي مضي

وإذ يقول هو والخطاب لروما :

إن الذي بالأمس زنت جبينه بالغار عقك جهده وعصاك

وإذ يقول له قائد من قوّاده :

إلا إنه ليل له ما وراءه غرامك حي فيه والمجد ميت

وآخر :

فما المتدله السكير اهلا لتنصره السيوف ... ...

وثالث :

حياتـــه في يـديه أم في يدي كليوباترا

وإذ يناجي هو « إلهته » كليوباترا :

أخرجت أمري واختياري من يدي وتركتني نفساً بغير ملاك

وإذ يفقد مزية الجندي الباسل في ساحة الوغى ، تلك المزية التي أثبتها لنفسه حين سألته كليوباترا :

... ... أسالم انت لا أسر ولا عار ؟

فأجاب :

أسر ؟ وهمت كليوباترا ... ...

لو قلت قتل لكان القول أشبه بي كأس المنايا على الأبطال دوار

وتلك هي مزية الثبات التي يفقدها انطونيوس بفراره من اكتيوم ثم فراره من المعركة البرية الثانية إذ يقول :

جللت نفسي بعار يبقى بقاء الزمان
لما حملت جوادي على الفرار ازدراني
وضج مني سيفي وضج مني سناني

وددت الأرض تحتي لو طهرت من عباني
انا الذي كان امضى من الحديد جناني
كان الملوك عبيدي فصرت عبد الحسان

على أن المؤلف ترك له ما سوى هذا من مزايا الجندية ، فجعله على لسان كليوباترا :

جيشاً بمفرده في الروع جرار

وجعله على لسان حبرا « إله الحرب » .

وجعله على لسان اوروس « إله الوغى » حيث يقول :

رأيتك والحرب تبلو الكماة فأشهد كنت إله الوغى
وقد كان سيفك غول السيوف وكانت قناتك غول القنا
وكنت إذا الموت افضى اليك تحدّيته فانثنى القهقرى

وجعله على لسان جندي روماني :

... ... هيكلا عز في الرجال ضريبا
... ... خير من هز رمحاً أو نضا صارماً ولاقى الحروبا

وجعله على لسان كليوباترا :

محور الأرض وميزان الشعوب

وجعله على لسان أكتافيوس « سيفا باتراً لروما » :

ضمن أمثلة من هذا النوع تناثرت في الرواية .

لكن هذه المزايا الباقية لم تغن عنه شيئاً إزاء ضعفه النفسي الذي أفاضه عليه اندفاعه الأعمى في هواه ، وجعله من حيث طاعته لكليوباترا « كهمج الاسكندرية » .

ثم صوّر المؤلف صورة أخرى لأنطونيوس من حيث هو رجل فنراه من خلال هذه الصورة: غفوراً يتجلى غفرانه لكليوباترا مرة بعد أخرى ، ويبدو ذلك في قولها له :

وكم حقدت ثم اصبحـ ـت كأن لم تحقد

رحيم القلب ، بشوش الوجه :

وتبدو رحمته وبشاشته في قول كليوباترا :

ليس العبوس سنة لوجهك الطلق الندي
ولست من يغضب في ليل الشراب والدد
ولست للكأس على شاربهـا بالمفسد
قلبك كنز الحب والـ ـرحمـة والتودّد

أكتافيوس

يظهر أكتافيوس في الرواية قائداً عظيماً قوياً ويبدو ذلك في انتصاره وفي قوله « وما انا إلا سيف رومه » وفي قول كليوباترا:

إن اسطعت على ما لك من بطش ومن فتك
وما حولك من خيل وما تحتك من فلك

وسياسياً :

ويبدو ذلك في المعاهدة التي اراد أن يخدع بها كليوباترا لينخذها شارة في موكب انتصاره .

أنوبيس

يتمثل في الرواية مصرياً شديد الغيرة على مصريته :
ويتجلى ذلك إذ يقول :

أنوبيس كيف أصلي على ابن بوليوس قيصر
ابوه عال ولكن فرعون أعلى وأكبر

وإذ يوحي إلى كليوباترا فكرة الانتحار عطفاً عليها من حيث هي ملكة مصرية وحرصاً على كرامة التاج المصري ، ويتضح ذلك في حواره حول افاعيه وإذ يختم هذا الحوار قائلا :

يميناً بإيزيس احملهن اليك ولو في سلال الخضر
إذا بات في خطر تاج مصر سبقت اليك بهنّ الخطر

وهو من هذه الناحية موزع بين عاطفتين :

(الأولى) عطفه على كليوباترا .

(الثانية) بغضه لروما .

ويتجلى هذا البغض في قوله :

حابي أحيط القصر بالذئاب وبي من السخط عليهم مابي

ولكنه لم يكن ينسى في هذا البغض أن آمال مصر معقودة على انتصار انطونيوس . وقد رأينا أثر ذلك في سياسة كليوباترا .

***

كَمُلَ طبع رواية «مصرع كليوباترا» بمطبعة دار الكتب المصرية
في يوم الخميس غرة جمادى الثانية سنة ١٣٦٥ (٢ مايو سنة ١٩٤٦)

محمد نديم
مدير المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٦٥ / ١٩٤٥ / ٧٠٠٠)

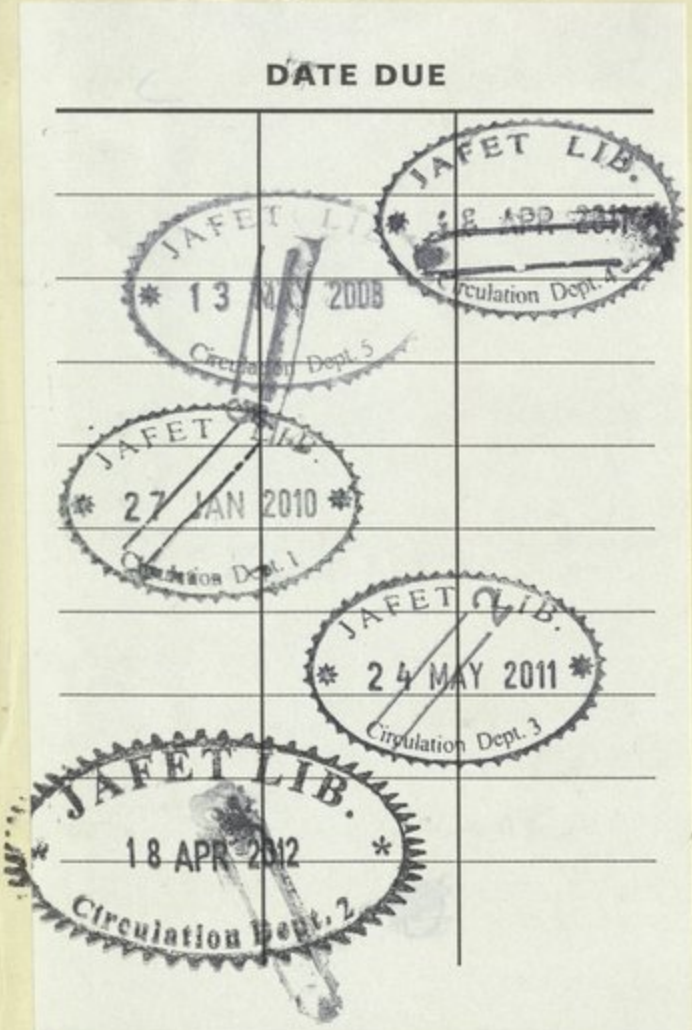
DATE DUE
JAFET LIB.
18 APR 2011
Circulation Dept. 4
JAFET LIB.
13 MAY 2008
Circulation Dept. 5
JAFET LIB.
27 JAN 2010
Circulation Dept. 1
JAFET LIB.
24 MAY 2011
Circulation Dept. 3
JAFET LIB.
18 APR 2012
Circulation Dept. 2

892.72:Sh53msA:c.1
شوقي، احمد
مصرع كليوباترا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01038997

A.U.B

892.78
Sh59 85ma A
c. 1